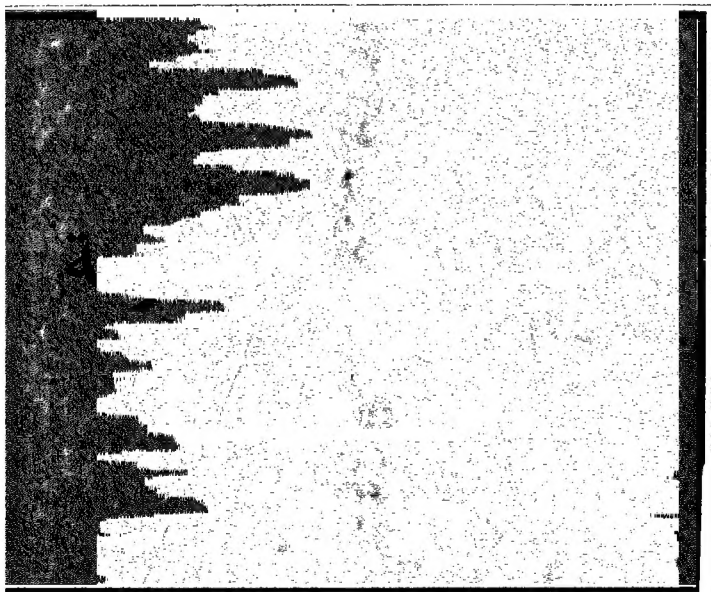






تأليف : عبد القادر ياسين



١٣

  
Bibliotheca Alexandrina  
0096763  




عبد القادر ياسين

# تجربة في المقاومة النشطة

## جميع حقوق الطبع محفوظة لمركز المحروسة

---

الطبعة الأولى يناير ١٩٩٨

---

عنوان الكتاب: تجربة في المقاومة النشطة

تأليف : عبد القادر ياسين

---

الناشر : مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر

٤٩ شارع المعادي - ت: ٣٣٠٣٧٥٢

المدير العام : فريد زهران

الجمع التصويري : صباح عامر

مسئول الطباعة : محمد سعيد

رقم الإيداع : ٩٨/٢٥٥٧

الترقيم الدولي I.S.B.N : 7- 84- 5652- 977

---

## تجربة فى المقاومة النشطة



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
١١	الفصل الأول : ظهور الجبهة
٢٧	الفصل الثانى : فى البدء كان التنظيم
٤٧	الفصل الثالث : خبرات صحافة سرية
٧٩	الفصل الرابع : استنتاجات عامة





## مقدمة

هل ثمة ما يدعو إلى كتاب آخر عن "الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة" (\*)، بعد مرور زهاء ثلاثين سنة على قيامها، وقرابة ربع قرن على غيابها ؟

قبل ستة عشر عاماً، أصدرت كتاباً عن هذه الجبهة؛ وكان في إمكانى الاكتفاء، اليوم، بإصدار طبعة ثانية من الكتاب نفسه، دون حاجة إلى كتاب جديد عن التجربة نفسها، لولا أن مرور كل هذه السنوات على هذه التجربة الفريدة، يحتم الافراج عن مزيد من الأسرار حول ملابسات تشكيل هذه الجبهة؛ وأساليب عملها، وآلياته؛ فضلاً عن الدروس المستفادة من هذه التجربة. خاصة وأن الاحتلال لا يزال يجثم على صدور أبناء شعبنا في الضفة والقطاع، الاختلاف الوحيد هنا أن جنود الاحتلال ذهبوا، وحل محلهم وكلاء يقومون بدور "ملقاط" لجمر المقاومة، ويشكلون شريطاً حدودياً مرادفاً لنظيره في الجنوب اللبناني، الذي يقوده - في الظاهر - أنطوان لحد. مما يحتم علينا استحضار التجارب الثورية، المحلية، والاقليمية، والعالمية، للاستقواء بها في مواجهة الكارثة القومية، المسماة "اتفاق اوسلو"، وتداعياته.

(\*) تجربة الجبهة الوطنية في قطاع غزة، بيروت، دار ابن خلدون، نيسان / أبريل ١٩٨٠.

غنى عن القول بأننى أنجزت الكتابين، وفى ذهنى الافراج  
عن أقصى ما يمكن من الأسرار، وجنى أوسع دائرة ممكنة من  
الدروس المستفادة، لا يحد من هذين الطموحين سوى المسؤولية  
الوطنية والحزبية، رغم أننى غادرت الحزب، منذ ثمانية وعشرين  
سنة. ولهذا قصة أخرى؛ ربما يأتى ذكرها فى كتابى اللاحق  
عن "الحزب الشيوعى الفلسطينى فى قطاع غزة".

لعل ما سهل لى مهمتى فى هذا الكتاب، كونى من داخل  
الظاهرة عضواً فى قيادة أحد أطراف الجبهة، بقاء ذاكرتى حية  
قوية، إلى حد بعيد؛ وتوفر وثائق الجبهة بين يدى، فقد حمل  
معظمها، من غزة، الزميل طعمه مشتهى، أثناء هجره قطاع غزة،  
سراً، بعد أن طارده قوات الاحتلال، بمجرد أن اكتشفت توليه  
مسئولية الجهاز العسكرى للجبهة، فى يناير / كانون الثانى ١٩٦٨.  
الأمر الذى يستحق عليه كل الشكر. فنحن أمة لا تعير كثير اهتمام  
لترائها، أما أحزابنا فنادر ما تلتفت إلى أهمية وثائقها ويومياتها،  
وإذا ما التفت فبعد قوات الأوان. مما يجعل الخلف يكرر أخطاء  
السلف، لأن هذا لم يترك تجربته بين يدى الخلف. وإذا تركها، فإن  
الأخير لا يهتم بقراءتها، أو الاستفادة منها، لذا يبدأ من حيث بدأ  
سلفه، فيكرر أخطاءه، ولا يتجنبها؛ بينما العدو يطور أساليبه، ويسبقنا  
فى هذا المضمار. ومع هذا كله نعتبر هزائمنا مجرد سوء حظ !

حتى اوفر بانوراما أقرب إلى الاكتمال عن هذه التجربة، بدأت بالقاء الضوء على قصة تشكيل الجبهة؛ وألحقها بفصل عن بنية التنظيم، وآلية عمله، وأساليبه؛ قيل أن أقدم التجربة الصحفية السرية للجبهة، من خلال صحيفة "المقاومة"، والكراسات التي أصدرتها الجبهة لتتقيف أعضائها.

متمنيا أن يكون هذا الكتاب قد أوفى هذه التجربة حقها؛ فأكد على إيجابياتها، فيما لم يهمل سلبياتها؛ فالدروس المستفادة من الأخيرة ربما تفوق كثيرا تلك التي يمكن أن تستفاد من الإيجابيات.

**والله الموفق**

**عبد القادر ياسين**

**القاهرة في ١/١/١٩٩٦**



# الفصل الأول

## ظهور الجبهة



## الفصل الأول ظهور الجبهة

وقعت هزيمة ١٩٦٧ العربية كالصاعقة على رؤوس جميع العرب؛ وإن تضاعفت الكارثة على من وقع منهم تحت الاحتلال الاسرائيلي، بفعل هذه الهزيمة.

جاء الاحتلال وواقع التنظيمات السياسية في قطاع غزة بائس؛ حيث لم يكن في القطاع، حتى ذلك الوقت، حزب سياسى له امتداد جماهيرى ملموس. فحركة القوميين العرب بدأت نشاطها السياسى والتنظيمى، بعيد جلاء المحتلين الاسرائيليين عن قطاع غزة؛ منهية احتلالا دام زهاء أربعة أشهر متصلة (١٩٥٦/١١/٢ - ١٩٥٧/٣/٧).

ووصل عدد أعضاء فرع هذه الحركة في القطاع، عشية الاحتلال الاسرائيلي الثانى (١٩٦٧)، إلى قرابة ١٤٠٠ عضو. وما أن احتل القطاع من جديد (١٩٦٧) حتى فقد هذا الفرع توازنه، وأصابه الشلل التام؛ ولم يعاود التحرك الا بعد زهاء خمسة أشهر من بدء الاحتلال؛ بعد ان تكثفت عضويته إلى ٢٦٧ عضوا فقط.

كان القوميون العرب قد منوا أنفسهم بدخول تل أبيب، بمجرد اعلان الرئيس المصرى الراحل، جمال عبد الناصر، حالة الطوارئ، وطلبه إلى البوليس الدولى مغادرة قطاع غزة وسيناء، ووصول التوتر بين مصر واسرائيل، صيف ١٩٦٧، إلى ذروته.

ولما انقلبت الآية، وقع القوميون العرب أسرى إحباط خائق، بل إن اليأس تمكن من أغلبهم، فغادر صفوف الحركة، على النحو المبين أعلاه. ثم إن هذا الفرع ظل، منذ نشأ، يستمرئ العمل تحت مظلة الدولة، مواليا ومؤيدا، وقد فاجأه الاحتلال الإسرائيلي بتحد لم يكن مهيئا أو مؤهلا له، موداه أن يتحول هذا الفرع من التأييد إلى المقاومة؛ ومن العلنية إلى السرية. وما كان لهذا كله أن يتم بدون خسائر، أو بين عشية وضحاها، بل تطلب زهاء خمسة وثلاثين اسبوعا متصلة، توجت بحجم عضوية أقل من خمس ما كانت عليه، عند بدء حزب يونيو /حزيران ١٩٦٧، فضلا عن افتقاد الخبرة في مجالي المقاومة والسرية.

أما فرع حزب البعث العربي الاشتراكي، فكان يعاني من أزمة خانقة، هبطت بعضويته، من ١٠٥ أعضاء، في العام ١٩٥٩، إلى زهاء عشرة أعضاء، فقط، عند وقوع الاحتلال الإسرائيلي الثاني.

ذلك إن هذا الفرع تأسس في القطاع، صيف ١٩٥٥، عبر أجهزة النظام الناصري؛ حين كان عبد الناصر والبعث يعيشان شهر عسل. ومع التوتر الذي ساد هذه العلاقة، منذ أواخر ١٩٥٩،



واضطرار وزراء البعث الخمسة (\*) إلى الإستقالة من حكم الجمهورية العربية المتحدة حتى غادر الفرع أغلب اعضائه، ممن وفدوا تحت تصور النضال في كنف الأجهزة المصرية؛ فيما عمد من تبقى إلى فصل معظم قادة الفرع وكوادره، بتهمة الاتصال بالأمن !

أما فرع جبهة التحرير الفلسطينية (ج.ت.ف)، فلم ير النور، إلا قبل وقوع حرب يونيو / حزيران ١٩٦٧، بزهاء العامين؛ وظل هذا الفرع ضعيف الحضور، والفعالية السياسية التنظيمية، إتكاليا، مكثفيا بتلقى التعليمات والنشرات من قيادته مركزية في بيروت.

فيما لم يكن الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة نم سوى بضع عشرات من الأعضاء، ولم يمتلك أية منظمة ماهيرية، تتيح له التنفس، حسب ما تقضى به الاصول التنظيمية؛ جاء هذا الحرمان بسبب الأحكام العرفية المفروضة على القطاع، ذ حرب ١٩٤٨ العربية - الإسرائيلية، والتي كانت من جهة - نظرا إقامة مثل هذه التنظيمات الجماهيرية، حتى أن الادارة صرية ألغت، منذ صيف ١٩٥٧، بعد أسابيع قليلة من عودتها إلى

---

(\*) الخمسة هم :- نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة (مصر + سوريا)، أكرم حوراني. صلاح البيطار، خليل الكلاس؛ مصطفى حمدون؛ عبد الغنى قنوت؛ ورياض المالكي.

القطاع على أكتاف جماهيره، النوادي الرياضية في القطاع (القومي؛ الشعبي؛ الرياضي؛ والتوحيد)، ولم تبق من بين كل النوادي سوى 'جمعية الشبان المسيحية'، لحكمة لاندريها ! ومن جهة أخرى، فإن الحزب الشيوعي ظل عرضة للضربات البوليسية المتوالية، من جانب الأجهزة الأمنية لإدارة المصرية، في شكل حملات اعتقال شملت، في كل مرة، جل جسم الحزب. واتخذت هذه الحملات طابع الاستمرار المتقطع (شتاء ١٩٤٨؛ صيف ١٩٤٩؛ صيف ١٩٥٢؛ ربيع ١٩٥٥، ربيع وصيف ١٩٥٩، ناهيك عن حملات الاعتقالات الثلاث المتعاقبة، التي شنتها ضد الحزب سلطات الاحتلال الإسرائيلي، ما بين خريف ١٩٥٦، وشتاء ١٩٥٧. وزاد من ضعف الحزب، ذلك الخلاف الذي احتدم في أوساط الشيوعيين في القطاع، منذ صيف ١٩٦٤، حول ضرورة إعادة تشغيل الحزب، الذي توقف عن العمل، منذ حملة اعتقالات صيف ١٩٥٩. وجاء انفجار هذا الخلاف، أولاً بعد خروج آخر فوج من المعتقلين الشيوعيين الفلسطينيين في سجن المحاريق بالواحات الخارجية، جنوبي غربي مصر، في مارس / آذار ١٩٦٣؛ وثانياً بعد تدفق الدماء في جسم الحركة الوطنية الفلسطينية، غداة انعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول، في القدس، في ما بين أواخر مايو / أيار، ومطلع يونيو / حزيران ١٩٦٤، والذي تمخض عن ولادة 'منظمة التحرير الفلسطينية'، وما رافق انعقاد ذلك المؤتمر، وولادة هذه المنظمة من حوارات وصراعات، أمدت الحركة السياسية الفلسطينية

بدفعات قوية من الحيوية، ما كان للشيوعيين أن يبنوا بأنفسهم عنها، وسرعان ما حسم الصراع في أوساط الشيوعيين الفلسطينيين في القطاع، حين نجح الفريق الداعي إلى تشغيل الحزب في تشغيله، فعلا، اعتبارا من ٤ إبريل / نيسان ١٩٦٥. وإن ظلت غيوم الخلاف تخيم على الشيوعيين في القطاع؛ حيث ظل عدد لا يمكن انكار حضوره، يعارض إعادة تشغيل الحزب. بيد أن هذه المعارضة تلاشت، تماما، مع دخول المحتلين الاسرائيليين إلى القطاع، وتوفير الاجماع الشعبي على رفض هذا الاحتلال، وتطور هذا الرفض إلى المقاومة، على النحو المعروف.

ثم سرعان ما عاد إلى الحزب عشرات الأعضاء الذين كانوا قد هجروه، إبان المواجهة المستهجنة مع النظام الناصري، الحليف الطبيعي للشيوعيين. فتحت نير الاحتلال، العدو واضح ومحدد، ومقاومته واجبة وممكنة، والعودة إلى رفاق الدرب وتوحيد الصفوف غدت ضرورية، بل ملحة.

عليه يمكن القول بأن الحزب الشيوعي امتلك، عشية الاحتلال وتحتّه، تنظيمًا احسن إحكامه، إلى حد بعيد، وضم كوارر قيادية ووسطى ذات خبرة كفاحية، وتنظيمية ملحوظة، خاصة في مجال النضال السري. مما أهل الشيوعيين لأن يصلوا إلى "الجهبة الوطنية المتحدة" تراثًا تنظيميًا غنيا، يقضى باقامة منظمات جماهيرية.

بيد أن هذا الأمر اصطدم بعقبة كأداء، مؤداها أن إقامة مثل هذه المنظمات الواسعة لا يتفق وضرورة سرية حركة مقاومة، وفي وجه احتلال، ذي أساليب قمعية شرسة.

### إخفاق المحاولة الأولى

إزاء هذه اللوحة الحزبية، كان طبيعياً أن ينفرد الحزب الشيوعي بميزة التحرك السريع في مواجهة المحتل الاسرائيلي، دون سواه من التنظيمات القائمة في القطاع، التي وقفت مشدوهة، مشلولة؛ بعضها لا يقوى على الحركة، بسبب عضويته المحدودة، وخبرته الكفاحية المتواضعة، خاصة في مجال العمل السري، فيما صعب البعض الآخر لأن الهزيمة جاءت على غير انتظار، ومن خارج دائرة توقعاته. بينما أفلت الحزب الشيوعي بحلقة ضيقة من الأعضاء والكوادر المجربة، الصلبة، سرعان ما تعززت صفوفهم بمزيد من الأعضاء والكوادر الذين عادوا إلى الحزب، مع الاحتلال الذي استجد. كما أن الحزب ألف العمل السري، منذ سنة ١٩٤٨، فضيلاً عن أن الانتقال من موقع المعارضة إلى خنادق المقاومة لا يتطلب قطع مسافة ذات شأن. أي أنه كان مهياً للمواجهة مع المحتلين الإسرائيليين، الأمر الذي عززه توقع قيادة الحزب وقوع

الهزيمة العربية، بسبب وعى هذه القيادة بمدى عمق الخلل الاستراتيجي، في المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والعسكرية، والثقافية في الجانب العربي. لذا نجد هذه القيادة تضع خططاً للسطو "الثوري" على مطابع بعض المؤسسات في حال وقوع الحرب، ودخول القوات الاسرائيلية قطاع غزة؛ كما جهزت قيادة الحزب شعارات، لكتابتها على جدران مدن، وقرى، ومخيمات القطاع، بمجرد وقوع القطاع تحت الاحتلال الإسرائيلي، مثل : "لا صلح؛ لا استسلام؛ لا وغدا يساوم".! وبذا فان الهزيمة العربية لم تصفع الحزب أو قيادته، بل وصلته وهو في كامل جاهزيته الكفاحية.

إذا ماعدنا إلى الخريطة الحزبية في القطاع، سنجد أيضاً، الاخوان المسلمين، الذين رأوا في الهزيمة العربية ثأراً للدم سيد قطب(\*)؛ لذا نبذتهم القوى الوطنية في القطاع، وأسقطتهم من حسابها في أي تحالف وطني. كما سنجد بأن ثمة كتلتين أسستتاً في القطاع؛ أولهما حلقات متناثرة من فتح، والثانية عشرات الضباط والجنود من جيش التحرير الفلسطيني، الذين بقوا في القطاع، بعد

---

(\*) كان نظام عبد الناصر قد اكتشف، سنة ١٩٦٥، تنظيماً سرياً للأخوان المسلمين، يقوده سيد قطب، يعمل لاسقاط هذا النظام بالقوة، ولانتهى الأمر بتوجيه ضربة قاصمة لهذا التنظيم، واعداد سيد قطب وبعض اعوانه من قادة التنظيم.

الهزيمة، ولم يقفوا في الأسر، أو ينسحبوا إلى غرب قناة السويس، أو يستشهدوا.

سرعان مات جمع الضباط والجنود، وتشكلوا على نحو يقترب كثيرا من التشكيل الحزبي<sup>(\*\*)</sup> ساعدهم على بلوغ هذا الشكل اعتمادهم التراتبية العسكرية في هذا الصدد. ولم يكن هذا الشكل هدفا في حد ذاته، بالطبع، بل أداة لمقاومة المحتل. ولم تجد هذه الكتلة إلا الحزب الشيوعي في الساحة، الذي وفر لأغلب أعضائها بطاقات شخصية مزورة، كما مول الحزب الكتلة، مالياً، بسبب انقطاع صلتها بقيادتها العسكرية؛ وبرئاسة منظمة التحرير الفلسطينية. على أنه ما أن نجحت قيادة هذه الكتلة على مد جسور الاتصال بقيادتها العسكرية والسياسية، حتى توفر للكتلة المال، فكف الحزب الشيوعي عن دفع مبلغ الأربعين جنيهاً مصرياً، بصفة شهرية، لهم، ابتداء من شهر نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٧. وهو مبلغ كبير، بمعايير ذلك الزمان؛ وفوق طاقة حزب صغير فقير مثل الحزب الشيوعي، الذي تنحصر وسائط تمويله في اشتراكات أعضائه، وتبرعات مؤازريه.

أما فتح، فعمد معظم أعضائها إلى مغادرة القطاع إلى الضفة الغربية أو الشرقية، طلباً للنجاة، بعد أن علموا بأن الكشوف

---

(\*\*) من المعروف أن التراتبية الحزبية مأخوذة عن التراتبية المعمول بها في الجيوش.

المتضمنة أسماء أعضاء التنظيمات الفلسطينية تركت في ملفات المباحث العامة والمخابرات العسكرية، في مراكزها بمدينة غزة. ومن صمد من أعضاء فتح، اكتفى بالتنسيق مع الحزب الشيوعي، دوناً عن بقية التنظيمات القائمة في القطاع، بسبب نفوذهم الكبيرة في الحزب وصنقيته، وتسليماً بخبراته الثرية وإمكاناته التنظيمية والفنية، التي لا يستطيعون الاستغناء عنها.

في منتصف يوليو / تموز ١٩٦٧، اتخذت قيادة الحزب الشيوعي قرارها بضرورة الإلحاح على قيادة فرع القوميين العرب لعقد تحالف بين التنظيمين، يضم إليه كتلة ضباط جيش التحرير وجنوده، الذين بقوا في القطاع. وتحرك مندوباً الجيش والشيوعي، وانتقلاً إلى جباليا، بهدف الاتصال بالمسؤول الأول لفرع القوميين العرب، آنذاك، صباح ثابت؛ وعرضاً عليه الاقتراح؛ وبعد لف ودوران، وافق ثابت على هذا الاقتراح. أما للف والدوران، فلأن ثابت يعلم بأن فرع الحركة في القطاع يعاني من تبعثر وشلل تام؛ ولا يستطيع الدخول في أي تحالف في الوقت الراهن.

اتفق الثلاثة على تسمية ثلاث شخصيات مستقلة وازنة إلى قيادة التحالف. وبأمر ثابت، فسمى الثلاثة المطلوبين، دون أن يترك لأى من المندوبين فرصة تسمية أى من المستقلين، وهم : حيدر عبد الشافي (القريب من الشيوعي)؛ منير الرئيس؛ وفاروق الحسيني (القريبان من القوميين العرب). وتفاوضى مندوباً الشيوعي والجيش

عن هذه المؤامرة الصغيرة. وتم الاتفاق على عقد اول اجتماع لقيادة التحالف، في منزل منير الرئيس، بمدينة غزة، بعد ظهر أحد أيام الثلث الأخير من يوليو / تموز ١٩٦٧.

حين دخل مندوبا الجيش والشيوعي منزل منير الرئيس، فوجنا بوجود شخص لم يسبق لهما أن رآياه؛ وسرعان ما توافد الأشخاص المتفق عليهم، واكتمل الحضور، عدا فاروق الحسيني. صمت الجميع، في انتظار انصراف الغريب، بعد أن توقعوا أن يكون من فلسطيني ١٩٤٨، إلا منير الرئيس، الذي بادر بافتتاح الجلسة، وسط استهجان الجميع من عدم تحلى الرئيس بالأمن المطلوب. وحين لاحظ الأخير استهجانهم، أوضح لهم بأن فاروق الحسيني اعتذر عن الحضور، مما جعل الرئيس يدعو أخاه، الدكتور عبد الحى الحسيني، للحلول محله !

صمت الجميع، فيما ابتسم صباح ثابت، لما اعتبره توريث الجميع، فى الأمر المقضى، حيث يتمتع عبد الحى الحسيني بعضوية حركة القوميين العرب فى القطاع، وبذا يصبح للحركة عضوان فى قيادة التحالف؛ ومن جهة أخرى فان عبد الحى لا يتمتع بالمطلوب توفره فى الشخصية المستقلة عضو قيادة التحالف، من حضور عالمي، واقليمي، ومحلي؛ ناهيك عن اعتماد التمثيل الشخصى، دون الإنابة، أو علاقة الدم؛ فنحن لسنا فى مؤسسة عشائرية، بل سياسية، تحكمها معايير لاتمت للعشائرية بصلة. اكفى الحضور بمراسيم



الافتتاح، وانفض الاجتماع سريعا، بعد أن اتفقوا على الموعد التالي.

حملت قيادة الحزب الشيوعي مندوبها إلى التحالف وجهة نظرها الموما إليها عاليه فى موضوع احلال د. عبد الحى محل شقيقه. وسرعان ما التقى مندوب الشيوعى بمندوب الجيش، ولاحظ تطابق وجهة نظر الثانى ووجهة نظر الحزب، فى هذا الصدد. فانطلقا معا إلى حيث ثابت، وعرضوا عليه ما اعتبراه أول انتهاك صارخ للاتفاق.

اعتذر ثابت عن هذا "الخطأ الصغير غير المقصود"، وطالب مندوبى الجيش والشيوعى بتمرير هذا الخطأ، حفاظا على التحالف، وعلى مشاعر منير الرئيس، الذى تصرف على مسؤوليته فى هذا الاحلال. لكن المندوبين رفضا منطق ثابت، وتمسكا بضرورة تعديل الوضع الخاطئ الذى نشأ، بغض النظر عما إذا كان قد اقترفه منير الرئيس أو صباح ثابت نفسه. واقترحا بأن يصلحا الأمر مع منير الرئيس، ويقنعاه بمدى خطأ مبادرته، اذا ما كان هذا الانتهاك من صنعته. لكن مندوب القوميين العرب رأى فى ذلك إجرأا لمنير الرئيس؛ وعندما ألح عليه المندوبان، اقترح ثابت بأن يعالج الأمر بنفسه مع منير الرئيس.

حين أرف موعدا للقاء الثانى، اصطحب مندوب الشيوعى مندوب الجيش إلى منزل منير الرئيس؛ وما أن اقتربا من المنزل،

حتى لاحظا وصول د. عبد الحى الحسينى برفقة صباح ثابت، مما أكد لهما مدى اصرار الأخير على تكريس الانتهاك، باعتباره أمرا مقضيا. فاستمرا فى سيرهما، لايوليان على شئ؛ دون أن ينفلا إلى منزل الرئيس.

هكذا أخفقت أول محاولة لإقامة تحالف وطنى فى مواجهة الاحتلال الإسرائيلى الثانى لقطاع غزة، بفعل عصبوية ثابت وضيق افقه.

### الجبهة تقوم

أعاد الحزب الشيوعى النظر فى الأمر، وقررت قيادته التحرك السريع لأقامة تحالف بدون القوميين العرب، الذين يحاولون تقويت السانحة، وكسب الوقت، ومضاعفة عدد المندوبين الذين يمثلونهم داخل قيادة التحالف، عبر مؤامرات صغيرة، لاتليق بمن يرزح ترابه الوطنى تحت الاحتلال.

عاد مندوبا الحزب والجيش، فاتصلا بقيادتى فرعى البعث، و ج.ت.ف.، اللتان وافقتا، من فورهما، على اقامة التحالف، واتفق الجميع على ضم شخصيتين مستقلتين إلى قيادة التحالف. هما: د. حيدر عبد الشافى، وسامى أبو شعبان. وهما شخصيتان وازنتان؛ أولهما مدير (وزير) الصحة فى قطاع غزة، فى ما بين سنتى ١٩٥٧ و ١٩٦٠؛ ثم رئيس المجلس التشريعى (١٩٦٢-١٩٦٣)

(١٩٦٤)؛ قبل أن يصبح عضواً في أول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير (١٩٦٤ - ١٩٦٥)، ويتمتع بشعبية واسعة، بسبب مواقفه الصلبة في كل القضايا التي تمس حياة شعبه. أما أبو شعبان فتربوي مرموق، ونقيب المدرسين، ورئيس جمعية موظفي الحكومة في القطاع.

وعلى أعتاب مطلع أغسطس / آب ١٩٦٧، التأم أول اجتماع لقيادة التحالف، واتفق المجتمعون على أن يحمل التحالف الوليد اسم "الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة". وفي اجتماع ١٩٦٧/٩/٣٠، اعتمدت قيادة الجبهة ميثاق الجبهة، الذي تقدم مندوب الشيوعي بمسودته، وتضمن الدعوة إلى وحدة صفوف شعب القطاع؛ وحشد الطاقات، وتنظيمها، وتصعيد المقاومة، من أجل إجباط مشاريع الاحتلال الاسرائيلي، وإفشال أغراضه. وبصدد أشكال النضال، فإن الميثاق ذكر بأن الجبهة ستناضل "بالأساليب التي تراها مناسبة" من أجل :

- ١- سحب قوات الاحتلال الإسرائيلي؛
- ٢- عودة الإدارة المصرية إلى قطاع غزة؛
- ٣- إسقاط مشاريع التصفية والتشريد؛
- ٤- مقاطعة سلطات الاحتلال الاسرائيلي، في شتى المجالات، ومقاومة مؤامراته، الرامية إلى تهويد الحياة في قطاع غزة.

بعد الميثاق، جرت المصادقة السريعة عن 'النظام الداخلي' للجبهة. وإن أدت بساطة العلاقات بين أطراف الجبهة، وخلوها من التعقيدات والحساسيات، إلى انتفاء الحاجة إلى "لائحة داخلية"، تنظم العلاقات في ما بين أطراف الجبهة، وترسى آلية العمل داخلها. الأمر الذي تعزز مع تكفل الحزب الشيوعي بحمل جل مهام الجبهة، وكل الجوانب التنفيذية.

سرعان ما طلب مندوب الجيش إعفاءه من حضور جلسات قيادة الجبهة، لاعتبارات أمنية، مفوضاً مندوب الشيوعي التصويت نيابة عنه.

وواظبت قيادة الجبهة على عقد اجتماع اسبوعي لها، في منزل الدكتور حيدر عبد الشافي. ودارت عجلة العمل، بسرعة مطردة. وضمت القيادة عدا الشخصيتين المستقلتين - فؤاد بنات (ج. ت. ف)؛ عبد الرحمن الحاج (البعث)؛ عطية مقداد (\*) (الشيوعي).

(\*) معروف بأن الحزب الشيوعي كان قد فصل مقداد من عضويته، ربيع ١٩٥٧، حين كان مسؤولاً عن المجال التنظيمي في الحزب؛ لكن البعض أعاده إلى الحزب، فيما أصر الآخرون على استمرار استبعاده، خشية تكراره جريمة ١٩٥٧. وأخيراً تم التوصل إلى صيغة مؤداها ألا يطلع على أسرار العضوية، والأجهزة الفنية (المطابع)؛ ويكتفى بتولييه مسؤولية العلاقات الخارجية للحزب. أما كيف تم القبول بهذه الصيغة التي تنتهك الحد الأدنى من التقاليد الحزبية فهذا مجال آخر، عند الحديث في كتاب آخر عن تاريخ "الحزب الشيوعي الفلسطيني في قطاع غزة".

ومسحان ما وضعت قيادة الجبهة الخطط العامة، ورسمت  
الخطوط العريضة لمختلف أنشطة الجبهة، في المجالات السياسية،  
تنظيمية، والدعائية. لكن كيف مار العمل في هذه المجالات ؟

# الفصل الثانى

## فى البدء كان التنظيم



## الفصل الثانی فی البدء کان التنظيم

امتلک الحزب الشیوعی من المقومات ما أهله للاضطلاع بالمسؤولیات الأكبر فی الجبهة؛ فقد عمد إلى اعادة بناء تنظيمه، وتقویته، لأن ذلك من شأنه تقوية الجبهة، مما یصب فی مصلحة العمل الوطنی عموماً. وقد تدرج الهرم التنظيمی للحزب من الخلايا فی القاعدة، إلى اللجنة المركزية فی القمة، مروراً باللجان المحلية لكل مخیم، وحي، وقرية، ثم لجان المناطق. وانحصرت عملية صناعة القرار الحزبی فی اللجنة المركزية عبر مكاتب مركزية ثلاثة هي: التنظيم؛ الدعوة والفكر، المالی والفنی؛ تجمعها سكرتارية مركزية، تضم مسؤولی المكاتب الثلاثة، وهي فی حالة اجتماع دائم، ومهمتها تسيير العمل اليومي ومتابعة التكاليفات، والتسيق بين مختلف أنشطة الحزب.

اتبع الحزب فی إعادة بنائه، وممارسة نشاطاته، الأساليب الحزبية المتعارف عليها، والواجب اتباعها، فی حالة حزب سري يواجه احتلالاً. وظل على رأس سلم أولويات الحزب المحافظة على ديناميكية التنظيم، ومرونته، وابتكار أساليب عمل ونضال ملائمة؛ مع الاستجابة للمستجدات، دون الخروج عن استراتيجية الحزب.



معروف بأن المسألة التنظيمية <sup>(١)</sup> تنحصر فى العلاقات وآلياتها، ومدى ديناميكيتهما :

- علاقات بين النظرية والتطبيق؛
- علاقات داخلية بين أعضاء التنظيم نفسه؛
- علاقات بين قواعد التنظيم وقياداته؛
- وعلاقات بين التنظيم وجماهيره.
- فضلا عن علاقات من نوع آخر، مثل :
- علاقات الجماهير بكل من المعركة والعدو،
- وعلاقات التنظيم بالواقع المحلى، الاجتماعى، والسياسى، والثقافى.

أما الجبهة الوطنية المتحدة، فقد شكلت قاعدة أكثر اتساعا، تتكون، أساسا، من اللجان الوطنية.

تميزت بنية هذه اللجان بعدة خصائص، تحمل بصمات واقع شعبنا فى قطاع غزة. وفى مقدمة هذه الخصائص أن اللجان الوطنية لم تتخذ شكل تنظيم هرمى مركزى متكامل، أو حتى بنية تنظيمية متجانسة، على أى نحو من الأنحاء. فقد اجتذبت اللجان فئات

---

(١) ثمة بدهية لبنينية، تؤكد استحالة فصل المسائل السياسية، ميكانيكيا، عن المسائل التنظيمية. فالأخيرة ليست فنية خالصة. على أن الاعتناء المكثف بالمسألة التنظيمية بمثابة الخبز اليومى للمناضلين؛ حيث عليها يتوقف جزء كبير وأساسى من مستقبل النضال.

وقطاعات اجتماعية متباينة، لا يجمعها إلا الرغبة الصادقة في مقاومة الاحتلال، فيما تفاوتت درجة الوعي والاستعداد للتضحية، والميل للتنظيم. حتى أن هذه اللجان طالما ضمت أناسا تربوا على الاعلام الرسمي العربي، الذي دأب، لأكثر من خمسة عشر عاما متواصلة، على تلقين معاداة الحزبية والعمل الحزبي، ومن باب أولى الشيوعية. لذا، فقد ضمت اللجان هذا الجمع المتنافر في أشكال تنظيمية متباينة. وقد ابتدعت أشكال تنظيمية بسيطة لجذب أوسع دائرة ممكنة من شعب قطاع غزة إلى الجبهة، في سبيل تعزيز مقاومة المحتل، بتنظيمها، وتوحيدها، وتجديدها، بعد توفير الضمانات بمدى المتصل بالدماء الجديدة. ولم يمض وقت طويل حتى أدار هؤلاء المعادون للحزبية والشيوعية ظهورهم للمقولات التي سبق أن لقنت لهم، بعد أن انخرطوا في النشاط الجبهوي، حيث تأكد لهم مدى مضاء العمل التنظيمي، وقوة الوحدة الوطنية.

كان المخيم المجال الحيوي الأول للتنظيم في قطاع غزة. فهو رمز النكبة، وأغلب سكانه ينتسبون إلى القطاعات الاجتماعية الكادحة، كما أن أهالي كل قرية ومدينة يقيمون في أماكن متجاورة. وقد عزز تكني مستوى بيوت هذه المخيمات، من إحساس سكان المخيم بأن بقاءهم فيه مؤقت، في انتظار العودة إلى بلادهم الأصلية، فضلا عن سمات أخرى، مثل: الكثافة السكانية العالية فيه،

وطرقه المتعرجة الشديدة الضيق، والتي تجعل من تحريك الآليات فيه شبه مستحيل<sup>(١)</sup>.

رسمت قيادة الجبهة الوطنية المتحدة، على الورق، شبكة من المنظمات المحلية، على امتداد القطاع كله، ثم عمدت إلى تحويل هذا التخطيط الهيكلي إلى واقع ملموس.

باللجان الوطنية امتلكت الجبهة صيغة تنظيمية شديدة المرونة، مفتوحة لكل من يرغب المشاركة في مقاومة الاحتلال، ويوافق على ميثاق الجبهة، ويلتزم بنظامها الداخلي. وقد توزعت هذه اللجان الوطنية على الأساسين الجغرافيين (مكان الإقامة)، والمهني (موقع العمل)، في آن معا. وهذا مظهر آخر من مظاهر المرونة الشديدة التي اتسم بها تشكيل هذه اللجان. وأذكر أن حجم هذه اللجان بلغ، أواسط ١٩٦٨، حوالي خمسمئة عضو.

---

(١) في العام ١٩٦٥، كان في القطاع ٣٠٦,٤٨٧ لاجئا من مدن وقرى فلسطينية من خارج قطاع غزة، اقام منهم في المخيمات ٢٣٣,٥٧٢ نسمة، توزعوا على مخيمات القطاع الثمانية على النحو التالي : مخيم الشاطئ (٣١,٢٠٦)، مخيم جباليا (٤٠,٢٢٧)؛ مخيم دير البلح (٩,١٤٠) مخيم البريج (١٣,٦٠١) مخيم النصيرات (١٩,٤٩٧) مخيم المغازي (٩,٥١٠)، مخيم خان يونس (٥١,٥١٥)، مخيم رفح (٥٨,٨٧٦). وذلك من أصل ٤٢٧,٩١٠ نسمة، هم إجمالي سكان القطاع آنذاك. انظر : إدارة الحاكم العام لقطاع غزة، نشرة الاحصاءات الرسمية لعام ١٩٦٥.

اتسمت الأسابيع الأولى من قيام الجبهة بقيام تنظيم فضفاض، غير متناسق في هيكلته، يضم لجانا وطنية متناثرة، هنا وهناك، لا يجمع بينها إلا الرغبة في مقاومة المحتل الإسرائيلي. على أن استمرار الكفاح، وبدء النهوض الوطني، زادا من جذرية الجبهة، سياسيا، كما عززا من فعالية تنظيم الجبهة، وتجانسه وانضباطه، ومن ثم اقتربت هيكلته، كثيرا من هيكلية الأحزاب الشيوعية في التنظيم.

مع مرور الوقت، ابتدعت هذه اللجان منطقتها، ومؤسساتها، وأساليبها، وآلياتها الخاصة. وفي مدى عدة أسابيع، قفز عدد المنضوين تحت لوائها، قفزات فلكية وغدا هيكلها الضيق تشكيلا مترامى الأطراف، مهيا لحمل مهام المرحلة الجديدة.

بعد أن نجحت الجبهة في تنظيم الكثير من اللجان الوطنية، التي توزعت في أرجاء القطاع، عمدت إلى شن حملة واسعة استهدفت تحريك جماهير الشعب.

تمكن تنظيم الجبهة من تجميع الجماهير الشعبية من حول الجبهة وبرنامجها، وشعاراتها، بشكل يفوق أكثر التوقعات تفاولا؛ إذ كانت جماهير القطاع محبطة، غاية الاحباط، متشككة، إلى أبعد حد، بفعل الهزيمة العربية الساحقة والسريعة، في وقت كانت فيه هذه الجماهير تعد نفسها كي تدخل تل أبيب ! مما جعلها لا تصدق أية وعود تقدم إليها، بل لم تكن تثق في قدرة أية حكومة عربية - ومن

باب أولى أى حزب سياسى محلى متواضع الإمكانيات - على مواجهة إسرائيل.

سرعان ما وصلت الجبهة بمنظوماتها إلى كل ركن من القطاع، بمدنه ومخيماته وقراه. ولم تكثف الجبهة بالانتشار الاقصى فى القطاع، بل تمكنت، أيضا، من تعميق انتشارها هذا، حتى لا يصبح مجرد انتشار سطحي.

بوصول الجبهة إلى هذه الدرجة من الانتشار، انتقلت إلى مرحلة العمل، بما يستجيب لاحتياجات النضال، وتحولت من مجرد التحريض إلى القيادة الفعلية؛ ويمكن إيجاز أهم ملامح هذه المرحلة على النحو التالى :

١- تم تعزيز النشاط فى المناطق التى تضعف فيها قبضة المحتل وسطوته.

٢- انبث دعاة الحزب والجبهة بين أهالى القطاع، بهدف تأكيد إمكان مقاومة الاحتلال وجدواه، فضلا عن وجوبه وضرورته. أما التحريض على الاحتلال الإسرائيلي فلم يكن ضمن مهام الدعاة، إذ كانت هذه المهمة قد أنجزها الاحتلال الإسرائيلي نفسه.

٣- وجهت ضربات محدودة ضد بعض المتعاونين مع المحتل، كما تم تحذير بعض الانهزاميين.

لم يكن الأمر سهلاً خالياً من الصعوبات، فقد اصطدمت الجبهة، منذ البداية، بواقع الاحتلال المستجد، والذي يتطلب أساليب وتكتيكات جديدة، خاصة في مجال التنظيم، مع عدم الانصياع لضغوط الواقع على حساب النظرية، ولا يهدر الأولى لحساب الأخيرة، بل بتطبيق النظرية بإبداع ومرونة، لا يجعلها قيذاً عليه بل يغنيها. متمسكا بالمقولة الشهيرة التي تعطي النظرية لونا رمادياً، بينما تعطي الحياة مسحة اللون الحاسم المتفائل بحيث يتطلب الأمر الذهاب من النظرية إلى الحياة، والعودة منها إلى النظرية، مرة أخرى، لاكسابها الروح المتجددة.

إن تسيير وتوجيه أى حزب يهون أمره، أمام تنظيم حركة جماهيرية والتعامل معها. إذ يفترض أن الأول يضم أناساً ذوي وعى سياسى رفيع، واستعداداً عالياً للتضحية، وقدرة فائقة على قيادة الجماهير، وشعبية ملموسة في مجالاتهم، ناهيك عن التاريخ النضالى، الذى لا يمكن إنكاره. لذا فهم الأقدر على الانضباط، بما يحركهم تجاه الأحداث الجارية وكنائهم كتيبة واحدة. أما حركة الجماهير، فتتفرق إلى التجانس الفكرى والسياسى وهى عصية - إلى حد ما - على التنظيم، وضعيفة الاستجابة لدواعى الانضباط. وحين تتحرك جموع الجماهير، فإنها تتحرك بعقل جماعى واحد، يتلنى إلى عقل أكثر المتحركين بساطة وأدناهم وعياً سياسياً.

لأن زراعة الكادر الحزبي هي أقرب إلى زراعة الزيتون، بما يتطلبه من وقت طويل، وجهد جهيد، وأناة صبور، حتى تطرح خبرتها، فإن الجبهة عمدت إلى أسلوب زراعة القمح لما يعطى من نتائج سريعة، ووفيرة، في مدة قصيرة. وهو الأسلوب الأكثر ملاءمة للتعامل مع حركة الجماهير في مواجهة احتلال أجنبي، يجب أن تلطمه حركة المقاومة، منذ اللحظة الأولى التي تطلأ فيها أقدامه أرض البلاد.

تصدى لقيادة الجبهة قيادتان، في آن معاً، أولاهما : قيادة التخطيط العريض، وضمت مندوباً عن كل فصيل وافق على الاشتراك في هذه الجبهة، فضلاً عن بعض الشخصيات النقابية الفاعلة. وقد انحصرت مهمة هذه القيادة في تحديد سياسة الجبهة ومواقفها حيال الأحداث الجارية، مع مراقبة أداء الجبهة. ثانيتهما : القيادة الميدانية للجبهة، وأخذتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، على عاتقها، نظراً لافتقار الفصائل الأخرى المشاركة في الجبهة، إلى أجهزة تنظيمية وفنية كافية، وقادرة<sup>(١)</sup>؛ فتولت قيادة الشيوعي

---

(١) أنكر أن مندوب أحد الفصيلين الآخرين احتج، ذات مرة، بأن مواد الصحيفة التي تصدرها الجبهة "المقاومة" تكتب بواسطة الشيوعيين، وتطبع في مطابعهم، مما دفع مندوب الحزب الشيوعي في قيادة الجبهة إلى أن يعرض على هذا المعارض، بأن يأخذ حزبه على عاتقه هاتين المهمتين بدلاً من "الشيوعي". فتلغثم هذا المندوب وتراجع في مطلبه إلى مجرد كتابة مقال، فرحب الجميع بطلبه المشروع هذا، إلا أنه لم يقدم.

تسيير عمل الجبهة، وكتابة وطباعة مطبوعاتها كافة، مع الاشراف على قيادة ومتابعة كل اللجان الوطنية، والتنسيق بين مختلف أنشطة الحزب والجبهة، ومتابعة التكاليفات، والمهام الموكلة للأعضاء، أو المنظمات في كل من الحزب والجبهة، على حد سواء.

ولعل هذا كله - عدا اتساع حجم الحزب الشيوعي، قياسا إلى بقية الفصائل المشتركة في الجبهة - قد أدى إلى أن يصبح الحزب الشيوعي العمود الفقري لهذه الجبهة. وإن حرص على عدم الظهور في صورة أنه الجبهة والجبهة هو. فجهد كى يبقى الحدود الفاصلة بين الجبهة والحزب أولا، وبين اللجان الوطنية والخلايا الحزبية ثانيا. وترك الفرصة متاحة، وفتح الباب على مصراعيه

المقال الموعود. وفي مرة أخرى احتج المندوب نفسه بان قيادة الجبهة لم توكل إلى حزبه مهمة المشاركة في توزيع منشورات الجبهة. فخير في توزيع المنشورات في أية منطقة يختارها بحيث لا يوزع "الشيوعي" فيها. واكتفى المندوب المعترض بأخذ مهمة التوزيع في محلية مخيم المغازي، واعطى الكمية المصروفة للمخيم المذكور من منشور، كان يدعو إلى الاضراب السياسى العام، في مناسبة مرور خمسين عاما على صدور "وعد بلفور"، وأحد عشر عاما على الاحتلال الاسرائيلى الأول لقطاع غزة. وكانت المفاجأة حين تم توزيع المنشور في كل أرجاء القطاع، دون المغازي ولم يبلغ المندوب المذكور قيادة الجبهة بهذا التقصير. وحين تمت مواجهته اعتذر بأن مسؤول التوزيع في حزبه كان في زيارة للضفة الغربية، عند حلول ساعة الصفر ! بعدها لم يجرؤ هذا المندوب على التحرش أو التصدى لحمل أية مسؤولية، أو أخذ أية مهمة أو واجب، على عاتقه أو عاتق حزبه.



لبقية الفصائل المشتركة في الجبهة، كى تساهم فى أنشطة الجبهة. أما حالات نقاعس بعض هذه الفصائل، فلم يكن الحزب مسؤولاً عنها، بكل المعايير. طبيعى، والأمر كذلك، أن يترك الحزب بصماته أكثر من غيره من الفصائل الأخرى المشاركة فى الجبهة، على تنظيمات، وتكتيكات، وأداء، وآلية عمل الجبهة.

لقد مر تنظيم الجبهة بثلاث مراحل، خلال الأعوام الأربعة من عمر الجبهة :

- محاولة توحيد القوى والشخصيات والأفراد، تحت راية الجبهة الوطنية ومقاومة المحتل. وقد انتهت هذه المرحلة، بعد مرور زهاء شهرين من دخول المحتل الإسرائيلى إلى قطاع غزة. وهنا تم حشد قوة لا يستهان بها تحت راية الجبهة.

- تبعثها مرحلة التمدد والانتشار، وهى التى استمرت حتى مطلع العام ١٩٦٨. وبالرغم من الانتشار الواسع للجان الوطنية، إلا أنها ظلت جزراً مقطوعة الصلة ببعضها البعض، إلى حد ما، طوال المرحلة الثانية.

- أما المرحلة الثالثة، فهى التى جرت فيها إعادة تنسيق اللجان الوطنية، فى محاولة لاضفاء الانسجام البنىوى عليها. فالحقت هذه اللجان بمناطقها الجغرافية، وبهذا تم توحيد هذه البنية، بعد أن كان بعض هذه اللجان يلحق بموقع عمل أعضائه، وبعضها الآخر بموقع الإقامة، أو فى الموقعين معاً. وقد ارتبط معظم هذه

اللجان بخلايا الحزب. وبمرور الوقت أمكن ترك المسؤولية في بعض اللجان لواحد من بين أعضائها، لأن عدد أعضاء الحزب لم يكن يكفي لتغطية مسؤولية كل هذا العدد من اللجان الوطنية، من ناحية، ولأن بضعة أسابيع كانت كافية لفرز أعضاء من بين هذه اللجان، يصلحون لقيادتها، ويتسمون، أيضاً، بمميزات أعضاء الحزب، من وعى سياسى، واستعداد للتضحية، وشعبية، وقدرة على القيادة والمبادرة، من ناحية أخرى.

يمكن القول بأن المرحلة الثالثة ابتدأت مع اشتداد معدلات الارهاب الإسرائيلي، وتمكن المحتل من توجيه ضربات قاصمة، فى كانون الثانى (يناير) ١٩٦٨، إلى كل من تنظيمات جيش التحرير الفلسطينى، وطلائع المقاومة الشعبية<sup>(١)</sup>. فمع هاتين الضربتين، وتعرض بعض قادة الحزب والجبهة للمطاردة، وعجز سلطات الاحتلال عن اعتقال أى منهم، تعززت ثقة اللجان الوطنية بقيادتها، وبمدى إحكام تنظيمها، كما أثار هذا الأمر إعجاب جماهير القطاع بالجبهة الوطنية، وأدائها، ودقة تنظيماتها.

لم يكن هذا الأمر يتطلب من قادة الجبهة والمكشوفين من كوادرها سوى تنفيذ تعليمات الاختفاء الجزئى، القاضية بعدم تردد

---

(١) الفصل الذى لاقاه فرع حركة القوميين العرب فى قطاع غزة، خريف ١٩٦٧، وضم أصدقاء الحركة هناك، فضلاً عن أعضاء الفرع العاملين.

الأعضاء على بيوتهم، أو النوم فيها، بل عدم البقاء فى أى موقع أو مكان مكشوف لأكثر من عشر دقائق متصلة.

غنى عن القول إن هذه التعليمات أخذت عن خبرات قيادة الحزب الشيوعى، الذى تمارس طويلا فى مجال العمل السرى، خاصة خلال تجربته السابقة فى مواجهة الاحتلال الإسرائيلى الأول لقطاع غزة (١٩٥٦ - ١٩٥٧)، فيما بقية الأحزاب وقياداتها افترت إلى مثل هذه الخبرات.

فى هذه المرحلة تم إدخال التنقيف السياسى إلى اللجان الوطنية، فقدمت إليها الكراسات المختلفة، حول : "الصهيونية"، و "جيش الشعب وحرب الشعب"، و "كيف تواجه الاستخبارات الإسرائيلية".

كان من الطبيعى، فى بعض الأحيان، أن يهاجر بعض أعضاء اللجان الوطنية، بسبب فزعهم من احتمال اعتقالهم، بالجملة، على غرار ما جرى فى كل من جيش التحرير وطلائع المقاومة، حيث توصل المحققون الإسرائيليون إلى تفاصيل دقيقة عن هذين الفصيلين، بعد أن سلم المسئول العسكرى لطلائع المقاومة نفسه للمحتل، حيث عثر المحققون على قائمة بأسماء أعضاء الزراع العسكرية لطلائع المقاومة، وعلى سجل يتضمن جملة التعليمات التى وصلت، طوال عشر سنوات، إلى فرع حركة القوميين العرب فى قطاع غزة، من الأمانة العامة للحركة فى بيروت، الأمر الذى

دفع الكثيرين من أعضاء اللجان الوطنية للتساؤل، في خوف ظاهر، عما إذا كان لدى قيادة الجبهة قوائم بأسماء أعضاء الجبهة. وكان الجواب بالنفى. فوجود مثل هذه القوائم يتنافى مع أبسط شروط العمل السرى. وهو ما لم يدركه القاتمون على فرع القوميين العرب بالقطاع، الذى ظل ينشط علنا فى قطاع غزة، منذ تأسيسه وحتى احتلال القطاع (١٩٦٧). مما يكشف<sup>(١)</sup> عجز قيادة الفرع، عن التلاؤم مع الأوضاع المستجدة. أى أنها فشلت فى تحقيق الانتقال من العلنية إلى السرية، ومن تأييد النظام السياسى القائم، إلى مقاومة نظام الاحتلال الجديد. وما يستتبع هذا الانتقال من تغيير فى الأداء، والأساليب، والأدوات.

هكذا استكملت "الجبهة الوطنية المتحدة" مقومات وجودها النضالى، على أرض قطاع غزة المحتل، وبدأت تمارس دورها فى مقاومة المحتل، وسعت إلى تجذير قاعدتها فى القطاع، فأقامت تجمعات للقطاعات الشعبية بالقطاع (الطلبة؛ المعلمون؛ النساء)، وتم تشكيل لجان قيادية لهذه التجمعات<sup>(٢)</sup>، وقد عكس ذلك مدى اتساع العمل الجماهيرى للحزب والجبهة، وقوة نفوذهما، فى آن معا.

---

(١) برغم من إخفاء أسماء ثلاثة من قادة الجبهة الوطنية، إلا أن قوات الاحتلال عجزت عن اعتقال أى منهم.

(٢) اللجنة الوطنية للطبابة؛ "اللجنة الوطنية للمعلمين"؛ و "اللجنة الوطنية للنساء"، على التوالى.

والجدير بالملاحظة هنا، أنه لم يتم استحداث مكتب مركزى للعمل الجماهيرى، حسب الأصول المتبعة، والتي تقضى باستحداث مكاتب مركزية بما يستجيب لاحتياجات العمل، ويعمق الديمقراطية الداخلية، بل تم دمج العاملين التنظيمى والجماهيرى فى مكتب التنظيم المركزى، أو - بتعبير أدق - الحق العمل الجماهيرى بالعمل التنظيمى.

بذا، يمكن تلخيص مراحل بناء الجبهة الوطنية الموحدة على النحو التالى :

- تم توحيد كل القوى الوطنية فى القطاع، فيما شذ فرع حركة القوميين، وحده، عن هذا الأمر.

- وبدأ القلب (قيادة الجبهة) فى كسو الهيكل باللحم، وفى مد الجسم بالدماء. وبقي الحزب الشيوعى بمثابة الخط الأول للجبهة، والتنظيم الطليعى والنواة القيادية للتنظيم الجماهيرى (اللجان الوطنية).

- ثم انتقلت الجبهة إلى تكثيف دورها النضالى فى مقاومة المحتل الإسرائيلى، وسعت

- فى الوقت ذاته - إلى الانتشار فى شتى ربوع القطاع، وتجنير قاعدتها بين صفوف القطاعات الشعبية كافة.

## اكتمال الظاهرة

كانت صيغة "اللجان الوطنية" إبداعاً، تم بواسطته تخطي المعادلة الصعبة التي كانت تواجه حركة الجبهة الشعبية وتعارض هذه الضرورة مع السرية الواجب اتباعها لمواجهة محتل فاشي شرس.

ومع كل ما قدمته هذه التجربة الفريدة، فإنها لم تخل من بعض الهنات ونقاط الضعف. فقد أدى تنفق الأعضاء على الجبهة إلى عدم إيلاء اهتمام كبير بالتنوع. ولمواجهة تنفي مستوى وعي هؤلاء الأعضاء، تم التركيز على التنقيف بما هو أكثر أهمية، وبما له علاقة وثيقة بعمل أعضاء اللجان الوطنية اليومية. ومن جهة أخرى قلطالما اعتبر الأعضاء الجدد في اللجان الوطنية أي انتقاد لعملهم بمثابة إهانة شخصية توجه إليهم، وتجرح كبرياءهم. واتسم هؤلاء الأعضاء بطابع المتطوعين، الذين يحتفظون بحقهم في الانسحاب، أو العدول عن التطوع نفسه.

ويمكن تحديد أسباب انتهاء هذه التجربة الثورية التي اكتسبت الكثير من أسباب القوة والاستمرار فيما يلي :

أولاً : ثمة أسباب ذاتية، على رأسها توالى الضربات والمطاردات التي اضطرت بعض قادة الجبهة إلى هجر القطاع، أو أوقعت بعضهم أسرى السجون الإسرائيلية، فيما النسبة الأقل سقطت شهيدة الواجب الوطني. مما أسلم قيادة الجبهة إلى عناصر أدنى

كفاءة من الناحيتين النظرية والسياسية، وأقل تجربة واستيعاباً للخبرات التنظيمية والجماعية. فبعد أن تم تقسيم قطاع غزة، من قبل قيادة الحزب، إلى عشر لجان محلية، والغيت لجان المناطق، ووضع على رأس كل لجنة محلية عضو لجنة مركزية، تتوفر له أقصى درجات الأمان؛ تولى مسؤولية المكتب التنظيمي للحزب أحد قادة الصف الثاني، بعد اضطرار المسؤول الأول لهذا المكتب إلى مغادرة قطاع غزة، ربيع العام ١٩٦٨، فجمع المسؤول الجديد محليات قطاع غزة في لجنة منطقة واحدة، ولم يستوعب الحكمة من التوزيع السابق، الذي يؤدي إلى حصر الخطر في لجنة محلية واحدة، في حال ضرب أو اعتقال أحد الأعضاء التابعين لها، وعجزه عن الصمود أمام المحقق الإسرائيلي. وقد أدى ذلك إلى اعتقال النسبة الغالبة من أعضاء الحزب والجهة، عند أول ضربة، بعد تولى العضو المذكور مسؤولية المكتب التنظيمي بعشرة شهور، الأمر الذي اضطر من تبقى من الأعضاء إلى اعتماد أكثر الصيغ التنظيمية ضيقاً، وهي صيغة التوزيع العنقودي، وفيها تم تقسيم الحزب والجهة إلى جزر صغيرة منفصلة، تتيح للقيادة الاتصال بكل خلية أو لجنة وطنية على حدة. وهكذا، تم تقسيم الحزب والجهة إلى أدنى وحدات ممكنة.

ثانياً : ومن ناحية العوامل الخارجية، فإن على رأسها تلك الضربات القاصمة التي تلقفتها المقاومة الفلسطينية في الأردن، خلال ضربتي أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠، وتموز (يوليو) ١٩٧١. وهما

الضربتان اللتان أفضتا إلى إخراج المقاومة من الأردن، بعد مقتل نحو ألفين من عناصرها، واعتقال زهاء ثلاثة أضعاف هذا العدد. مما قاد المقاومة والحركة الوطنية الفلسطينية إلى حالة انحسار ثورى، بعد مد ثورى عارم، عاشتاه لنحو أربعين شهرا متصلة، بدأت بعيد معركة الكرامة (١٩٦٨/٣/٢١)، وانتهت بأحداث الأحراش تموز (يوليو) ١٩٧١.

مع هذا كله، فإن تجربة الجبهة تظل إحدى التجارب الثورية الفريدة في القطاع، حيث قامت بدور رائد في مقاومة الاحتلال، في ظل حالة من التردى والاحباط، سادت القطاع وعمت الوطن العربى.

ويمكن القول بأن هذه الجبهة قد انفردت بعدة مزايا، اهمها :

\* قيام تشكيلات ومنظمات جبهوية موحدة، تحت نفوذ فصائل مختلفة.

\* وجود قيادة الجبهة داخل قطاع غزة، وليس خارجه، بعكس أغلب القيادات الفلسطينية، الأمر الذى وفر للجبهة عدة نقاط قوة، أبرزها السرعة فى الحركة، وتجنب تلقى التعليمات من خارج البلاد، من قيادة لا تستطيع أن تستوعب المستجدات، كما تعجز عن الاستجابة لاحتياجات اللحظة الراهنة.



\* فضلا عن أن معظم قادة الجبهة، وأغلب كوادرها الوسطى هم ممن تمرسوا في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي الأول لقطاع غزة (خريف ١٩٥٦ - ربيع ١٩٥٧).

يجب ألا يغيب عن البال أن هذه الجبهة كانت الوحيدة من بين كل فصائل المقاومة الفلسطينية التي لم تتلق عونا ماليا، دعما لنضالها، سواء كان مصدره قيادة م. ت. ف.، أو أى نظام عربى. بل اعتمدت هذه الجبهة، تماما، على الاشتراكات المالية لأعضائها، وعلى تبرعات أصدقائها وأنصارها، وبذا تعززت أواصر علاقاتها بجماهيرها وانعدمت شروط ارتهائها إلى هذا النظام العربى أو ذاك.

وبعد، فلقد كانت الجبهة أول مؤسسة تحالفية فى التاريخ السياسى الفلسطينى المعاصر، تجمع بين جنباتها ثلاثة تنظيمات، متباينة المنطلقات الأيديولوجية والتوجهات السياسية، فمن الاممى (الشيوعى)، إلى القومى (البعث)، إلى الوطنى القطرى (ج. ت. ف.)، وإذا كان الدينى (الاخوان) لم يخطر فى هذه المؤسسة فتلك مسؤوليته وحده، إذ إنه عمد إلى تجاهل الاحتلال الإسرائيلى للقطاع، لأكثر من عشرين سنة متصلة.

# الفصل الثالث

## خبرات صحافة سرية



## الفصل الثالث

### خبرات صحافة سرية

وضعت هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧ القوى الوطنية في قطاع غزة وجها لوجه مع احتلال اسرائيلى، جاء على غير انتظار كل الأطراف، عدا الشبوعيين.

على أنه ما أن رزح الوطن تحت الاحتلال، حتى دخلت الصحافة السرية ضمن الخيارات الحتمية للمقاومة. فالسرية هنا ليست وليدة نزق، أو نزوة ذاتية، أو ترفا في غير مكانه، أو أوانه؛ فضلا عن أنها ليست هدفا، في حد ذاته فحراسة الاحتلال، والميل الفادح في ميزان القوى لصالحه، يدفعان الحزب المقاوم إلى التخفى، واعتماد السرية.

ما أن ينزل الحزب تحت الأرض، حتى يسحب معه صحافته، فتصدر بشكل سرى. دون أن يمنع الحزب من أى سائحة للعمل العلنى فى شتى المجالات، بما فى ذلك المجال الصحفى، طالما لا يوفر مثل هذا العمل للمحتل شرعية أمام الرأى العام العالمى؛ أو يخل بشروط العمل السرى وأمنه، بل يتكامل معه، ويتناغم. فالصحافة العلنية أقل جلبا للمخاطر الأمنية، بما لا يقاس مع الأخطار المحدقة بالصحافة السرية، كما يتطلب الأمر جهدا أقل؛ فيما تتسع دائرة قرائها، أضعاف أضعاف الصحيفة السرية؛ التى تتطلب أكبية ذات أمان عال، وكواتم صوت للمطابع، وأعضاء عاملين غير مكشوفين للعدو؛ وأجهزة قنية خفيفة الوزن، بسيطة التركيب

والتشغيل، يسهل إخفاؤها؛ فضلا عن الجهود المكلفة والمضنية في سبيل توفير الورق، وحبر الطباعة، وصيانة الآلات، والدقة والإحكام في التوزيع؛ ناهيك عن أن العدو إذا اكتشف مواطننا يقرأ صحيفة سرية، فسيعاقبه بالسجن.

بيد أن لهذه المخاطر والمحاذير مردودها السياسي المجزى، فالصحيفة السرية أكثر صدقية في التعبير عن الحزب المقاوم، من نظيرتها العلنية، رغم صدورهما عن حزب واحد. أساسا بسبب استحقاقات العلنية، التي تضطر الصحيفة العلنية إلى دفعها، صاغرة، للعدو الطبقى أو الوطني؛ فتقدم أفكار الحزب ومواقفه، بشكل مهذب؛ وفي أحيان كثيرة منزوع الأظافر والأسنان، حتى أنه يمكن أن يغدو الحزب كله أسير هذا المكسب العلني. وليت الأمر يرضى رقيب الاحتلال، الذي يتوسع في استخدام مقصده ضد المواد الصحفية المقدمة له، مما يخل بالمضمون، ويشوه أفكار الحزب، ومواقفه.

بهذا تصبح الصحيفة العلنية تحت الاحتلال فخا، ينصبه المحتل للمقاومة السرية؛ بإذلا قصارى جهده لاستئراجها إليه؛ حيث يحقق هذا الفخ للمحتل عدة مكاسب، في ضربة واحدة. فبعد أن يطل على أفكار الحزب، ومواقفه، ويستشرف مخططاته المستقبلية، ويوهم الرأي العام العالمي بأن الشعب لايرفض الاحتلال<sup>(\*)</sup>؛ يطمع

---

(\*) الأيام الاولى من احتلال القوات الاسرائيلية الضفة والقطاع، صيف ١٩٦٧، تلتهفت هذه القوات لإضفاء الشرعية على احتلالها، فضغطت على شعب=

المحتل في توريث الحزب المقاوم باستدعاء بقية أشكال كفاحه من تحت الأرض، حتى يقع الحزب في الانحراف اليميني والتفريط، والاستسلام للمحتل بشروطه؛ بعد أن يكون الحزب أقنع نفسه بأن الصحيفة العلنية مكسب لا بد من الحفاظ عليه. وشينا فشنا، يتحكم أمر المحافظة على هذا المكسب في ما عداه من أداء الحزب وأساليبه، فيغدو الحزب معارضا من النوع المستانس غير الخطير.

على أن المحتل ليس الطرف الوحيد في هذه المعادلة، حيث يمثل الحزب المقاوم الطرف الثاني، الذي لا تكتمل المعادلة بدونه. وعليه أن يستفيد من هامش حرية التعبير الضيق المتاح، شرط ألا يقع الحزب في إفسار هذا الهامش، فيطبق على خناقه. حيث أن المطلوب أن يستخدم الحزب هذا الهامش لصالح بقية أنشطته.

هكذا، تستمر عملية شد الحبل، كل يحاول جذب الطرف الآخر إلى أرضه. إنها لعبة خطيرة، لا يقلت من أضرارها إلا حزب

---

=الضفة والقطاع كي يصدر صحيفة. وهنا كمنعت خطينة الاستجابة لهذه الضغوط، في حينه. على أنه منذ حاقت الهزيمة بالحركة الفدائية الفلسطينية في الأردن، صيف ١٩٧١، وتأكيد بأن الاحتلال الاسرائيلي مريع؛ وبأن إصدار صحف علنية لن يضيف عليه شرعية، بل يفيد في تخفيف واقع الهزيمة على شعب الضفة والقطاع؛ فضلا عن أن مثل هذا الإصدار يتفق مع منظومة التكتيكات المحددة التي استحدثتها الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك.

صلب، محنك، يقظ، يعى أبعاد اللعبة؛ مما يؤهله لى يأكل الطعم، ويبول على الصنارة، على حد تعبير مثلنا الشعبى الشائع.

إذا ما عدنا إلى الصحيفة السرية، فإن جماهير القراء يثمنون جهود الجنود المجهولين، ويقدرّون عالياً التكاليف المادية والمعنوية الباهظة لإصدار صحيفة سرية؛ فيستقبلونها بما يليق بها من الجدية والاحترام والحب، فى أن معاً. فيما يتلهف العدو لاقتصاص نسخة واحدة من هذه الصحيفة، حتى يطل منها على ما يدور فى عقل الحزب، كما قد تكون طرف الخيط الذى يستدل به المحتل على منظمات الحزب السرية. لذا تعد هذه النسخة ذات قيمة أمنية سياسية وتنظيمية لا تقدر بثمن للعدو المحتل.

### صحيفة "المقاومة"

حين تأكد رضوخنا لضرورة إصدار صحيفة سرية، اقترح أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى تسمية الصحيفة "الجبهة"؛ فيما تقدمت باقتراح إطلاق اسم "المقاومة" عليها، ثيمنا بالمرحلة الثورية التى يمر بها الوطن. وتمت الموافقة، بالإجماع، على الاسم الثانى.

حتى لا تقع فى محذور التضليل، اشير منذ البداية، أننا ربما كنا أمام أصغر صحيفة ثورية فى العالم، حيث لم يتعد حجمها ورقة فولسكاب واحدة (٢٠ × ٣٣سم)، تغطى الوجهين، مطبوعة على ورق حرير، بالآلة الكاتبة، قبل أن تسحب على آلة نسخ (رونيو)؛

فى اخراج بسيط، على ثلاثة أعمدة لكل صفحة. تملو صفحاتها الأولى "ترويسة" تتضمن فى الوسط اسم الصحيفة، وفى أذنها اليمنى "جريدة الجبهة الوطنية المتحدة"، وفى الآن اليسرى "قطاع غزة / اسبوعية"؛ وبين خطين، يفصلهما سنتيمتر واحد، أسفل الرأس والأذنين، ثمة رقم العدد، والتاريخ الميلادى لصدوره، والسنة. وتضمنت الصفحة الأولى المقال السياسى الرئيسى، مع كادر صغير فى أسفل شمال الصفحة، فى شكل توجيه مقتضب، أو خبر ذو أهمية استثنائية. فيما خصصت الصفحة الثانية للأخبار، مع تعليق فى عمود واحد، أو قصيدة، تحتل عموداً أو عموداً ونصف.

وامعانا فى السرية، وبسبب من ندرة الكفاءات الصحفية فى الحزب والجبهة، فقد انحصر أمر تحرير هذه الصحيفة فى ثلاثة من رؤوس الحزب، تولى اثنان منهم مهام الطباعة، أيضاً، إضافة إلى واجباتهما فى هيئة تحرير الصحيفة.

على أن هذا لم يعن بأن يقيننا بالقدرة على تجنب ضربات العدو كان كاملاً. وليس أدل على ذلك من أننا طبعنا من كلا العديدين الأول والثانى ٧٠ نسخة، فقط؛ وزعنا منها خمسين نسخة، لكل عدد؛ فى حين أبقينا عشرين نسخة للارشيف. وطلبنا أن تعاد النسخ الخمسين كاملة إلى مصدرها، من باب الحرص الشديد، والتحوط من أن تقع أى نسخة فى أيدي الأعداء المحتلين. بيد أننا اكتشفنا مدى صعوبة تنفيذ هذا الإجراء الأمنى؛ فبدأننا نطبع خمسمئة نسخة. اعتباراً من العدد الثالث؛ والأهم من هذا أننا لم نعد نطلب إعادة أى نسخة منها، بل طلبنا إلى كل من تقع فى يده نسخة من "المقاومة"



أن يبادر إلى إطلاع الأشخاص الذين يثق فيهم عليها. ومعروف بأن عدد قراء النسخة الواحدة من الصحيفة العلنية يصل إلى ستة أشخاص، فيما يقفز إلى خمسة أضعاف هذا العدد بالنسبة للصحيفة السرية. ناهيك عن أن المجموعة الثانية تلتهم مواد الصحيفة كلها، بينما يختار قارئ الصحيفة العلنية موضوعاً، أو أكثر، ليقرأه، وغالبا ما لا يتحمس له، هذا إن أكمله.

### في البدء كان الغرز

منذ الأيام الأولى للاحتلال، توزع الناس في القطاع إلى ثلاثة تيارات؛ أصر أولها على ضرورة البدء بالتصدي المسلح للاحتلال، دونا عن بقية أشكال الكفاح، فيما دعا التيار الثاني إلى اللوذ بالصمت، مادامت جيوش عربية جرارة قد انهزمت؛ أما التيار الثالث، فرأى بأن التصدي للاحتلال واجب وممكن، في أن معاً، شرط أن يتدرج هذا التصدي بأساليب الكفاح، بالترافق مع استعداد الجماهير للكفاح والتضحية؛ وكان هذا الاستعداد، وقتذاك، عند الصفر، بفعل الصدمة الشديدة التي تلقته هذه الجماهير مع الهزيمة الخاطفة النكراء التي حاقت بالعرب.

هكذا، تواجدت في الشارع الغزى ثلاثة اتجاهات، تفاوتت ما بين المغامرة؛ والاستسلام، والثورية.

منذ البداية، انحزنا إلى التيار الثالث، دون تردد. وخططنا لنضال تحضيري، يصل بنا إلى حالة جماهيرية تدحر القنوط

والإحباط، وتوفر يقينا بالنصر. وقررنا أن نبدأ بإصدار صحيفة سرية اسبوعية.

على أن عقبات نفسية انتشرت، انتشارا وبائيا، في القطاع، اعترضت سبيلنا في صورة أسئلة استكارية، مثل: "ما الذى يمكن أن تفعله صحيفة سرية صغيرة، بعدما دمرت - فى ساعات. ترسانات الأسلحة العربية الضخمة فى مواجهة اسرائيل؟!"; و"هل تستطيع قوة وطنية أن تخفى أنشطتها عن عيون الأجهزة الأمنية للاحتلال، فى الوقت الذى عجزت فيه دول عربية أكثر تأهيلا بما لا يقاس، عن إخفاء أنشطتها، حتى وهى خارج دائرة الاحتلال الاسرائيلي؟".

واجهتنا هذه الأسئلة المحبطة، منذ ما قبل تأسيس "الجبهة" لكننا لم نستسلم، بل قررنا مواصلة المحاولة.

بمجرد صدور العدد الأول من "المقاومة" - الصحيفة الاسبوعية السرية للجبهة - اندحر السؤال الأخير. إذ بصورها تأكدت إمكانية ممارسة نشاط ما، دون أن تتجح أجهزة الاحتلال فى كشفه. وهذا أمر بالغ الأهمية، حيث اتضح لشعب القطاع بأن أجهزة الاحتلال ليست قوة خارقة، أو "مكتشوفة عنها الحجاب"، كما أنه فى الإمكان مواجهتها، وهزيمتها، وأن الصورة ليست على ذاك القدر من القتامة التى عكستها الهزيمة العربية السريعة فى حرب ١٩٦٧. وبذا تمت الإجابة عن السؤال الثانى؛ فيما ترك للزمن مهمة الرد على السؤال الأول. واعتقد بأن بضعة أسابيع كانت كافية لإظهار مالهذه الصحيفة الثورية الصغيرة من تأثير عميق، بدا واضحا فى

المقاومة التي نهضت من تحت الانقاض، مما جعل جبهة القتال لاتقوم على نهر الأردن، بل فى قطاع غزة منذ الاحتلال وحتى نهاية العام ١٩٧١، حين أخذ خط المقاومة الفلسطينية فى الهبوط المطرد، لأسباب عدة، فى مقدمتها : ضرب حركة المقاومة الفلسطينية فى شرقى الأردن، خريف ١٩٧٠ وصيف ١٩٧١، قبل اخراجها من هناك؛ مما أدى إلى إضعاف معنويات حركة المقاومة فى القطاع، واقفادها مصدر تمويلها بالسلاح؛ فضلا عن الأثر النفسى السلبي الذى خلفه غياب الزعيم العربى الكبير، جمال عبد الناصر (١٩٧٠/٩/٢٨)، وضرب الحزب الشيوعى السودانى (تموز/ يوليو ١٩٧١). وما رافقه وتلاه من نجاحات ملحوظة لليمين والثورة المضادة فى غير قطر عربى.

### النشاط الاعلامى لماذا ؟

تكمن أهمية العمل الاعلامى فى إيصاله برنامج الجبهة وسياساتها للجماهير، وتحسينها ضد مؤامرات العدو، وتبصيرها بمصدر معاناتها؛ حتى تتحرك لاجتثاث هذا المصدر. فضلا عن أن العمل الاعلامى يعزز تلاحم القوى الوطنية والتقدمية، ويحشد الشعب فى النضال ضد المحتل.

- فضلا عن المهام المباشرة لصحيفة الجبهة، فإن توزيعها - فى حد ذاتها - يوفر شبكة منظمين فضفاضة حول المنشأ؛ بل إنها - مع تطورها - تصبح هذه الشبكة أداة تنظيم، أيضا.

بداية، اعتمدنا على الدعاية والمحرضين، إلى جانب الصحيفة الاسبوعية، والمنشورات، والكراسات التثقيفية الشهرية، فضلا عن التنظيمات الشعبية؛ وإن ظل الحديث المباشر، والاتصال الشخصي الأقوى والأنجع بين سائر وسائل الاعلام الثورى.

لقد تم التمييز بين وظيفتى الدعوة والتحريض. فالمحرض يقدم فكرة واحدة، أو قبضة صغيرة من الأفكار، لقطاع عريض من الناس؛ فيما يطرح الداعية أفكارا كثيرة لمجموعة محدودة من الناس. الأول يتعامل مع الجماهير، بينما الداعية يحصر عمله مع أعضاء التنظيم؛ المحرض يهتم بتعبئة الجماهير حول القضايا الراهنة، فيما الداعية يهتم بتوعية وتربية أعضاء التنظيم، وتأهيلهم للعمل وسط الجماهير.

لكن برغم الفصل الشكلى بين التحريض والدعوة، الا أنهما يشكلان، معا، مفتاح النشاط الاعلامى لأى تنظيم.

لقد أحست الجماهير الغزية بالقهر المزدوج - الوطنى والطبقى - بسبب الاحتلال الإسرائيلى، الجارح للكرامة الوطنية، كما أن أساليب الارهابية القمعية ولدت سخطا لدى الشعب، مما حمل المؤسسة التنظيمية مسئولية تخليص هذا السخط من تلقائيته؛ مع العمل على تنظيمه، وتوظيفه فى مجابهة الاحتلال. فتخليص الجماهير من تلقائيتها يقطع الطريق على الهبات العشوائية، التى قد تودى إلى إجهاد احتمالات العمل الثورى المنظم.

إن الدعوة والتحريض يؤديان إلى تنظيم الجماهير، وتحريكها، وتوظيف حقدتها على العدو الوطنى، وتعزيز يقينها بقدرات الجبهة. الأمر الذى يضع حدا لسلبية هذه الجماهير، ويوفر للنضال ضمانات استمراره. وهذا كله يتأسس على العمل الاعلامى، قبل غيره. فالكفاح الذى تخوضه الحلقة الضيقة من مناضلى الجبهة، والتضحيات الجسام التى يقدمها هؤلاء المناضلون، خلال هذا الكفاح، كلها تؤكد للجماهير بأن مقاومة المحتل ليست واجبة فحسب، بل إن الانتصار على المحتل ممكن، أيضا.

### من تثقيف الأعضاء إلى تعبئة الجماهير

بعد تثقيف أعضاء الجبهة، كان يتم الاتصال بالجماهير، عبر اللجان الوطنية للجبهة. ولعل فى هذا ما يبرر ايلاء كل هذا الاهتمام للعمل الاعلامى. إذ أن من شأن هذا العمل اجتذاب المزيد من الجماهير، وتنظيمها، وحشدتها ضد العدو؛ وهى مسلحة بالخط السياسى السليم.

لاتهدف الدعوة والتحريض إلى التلقين، لنشر "إيمان العوام" بين الجماهير بالجبهة وخطها السياسى، بل هدفها دفع الجماهير للتحرك ضد المحتل. ويعود اسهام الجماهير فى العمل الاعلامى إلى إحساس الجماهير بأن هذا العمل يخدم مصالحها.

لذا كان على الدعاة والمحرضين أن يتركوا الجماهير تجترح أساليبها الدعاوية، والتحريرية الخاصة، خلال تحركها.

ولطالما اجتاحت هذه الجماهير شعاراتها، وأساليبها، فى مواجهة العدو المحتل.

فى مجال الأساليب، فإن الحقائق المجردة غير مجدية فى تغيير آراء الناس، الذين يتشككون فى ما يقرأون، أو يسمعون. ويتطلى هذا التشكك عند الشعب الفلسطينى بشكل أخص، بعد كل الاحباطات المتوالية التى تعرض لها، على مدى تاريخه الحديث والمعاصر. مما يحتم القيام بتحريض ذكى، ومخاطبة الطبقات والفئات الاجتماعية، بعد دراسة مشاكل كل منها، دراسة متأنية مستفيضة. بما يجعل المبادرة، دائماً، فى يد الجبهة، ودعاتها، ومحرضيها الأمر الذى لا يضمنه الا الصدق، والبساطة، والتواضع.

### واجبات الدعاة والمحرضين \_

بعد الوسائل، كان لابد من الاهتمام بالانتقاء الأفرادى للدعاة والمحرضين، بحيث يتسم كادرهم بالوعى السياسى؛ والماضى النضالى، والاستعداد للتضحية؛ والشعبية؛ والجماهيرية؛ والقدرة على التأثير فى الناس والنزاهة.

ما أن يتم تحديد الوسائل، واختيار الدعاة والمحرضين، حتى يجرى دور تحديد واجبات هؤلاء الدعاة والمحرضين، والمحصورة فى توجيه الجماهير نحو الكفاح؛ وبث اليقين بالنصر فى نفوس الجماهير، واقتناعها بأن مصلحتها ومصلحة الثورة واحدة،

(هذا الاقتناع يتم بالأفعال، قبل الأقوال)؛ وتعليم الناس شتى أساليب الكفاح.

### تربية الكادر الاعلامي -

فى مجال تدريب الدعاة والمحرضين، لابد من تجنب التجريبية والتفقيية، مع الحرص على عدم القذف بالدعاة والمحرضين وسط الجماهير، بلا تدريب مسبق، أو دون مدهم بالتعليمات والمعلومات الضرورية باستمرار، أولاً بأول.

يتطلب التدريب دورة تثقيف سياسى، ودورة اخرى فى أساليب الدعوة والتحريض فى الدورة الأولى يتلقى الدعاة والمحرضون محاضرات مكثفة فى الفلسفة، والاقتصاد السياسى؛ وتطور الحركة الوطنية الفلسطينية؛ واسس التنظيم الحزبى، وفن العمل الجماهيرى؛ والصهيونية وكيانها؛ وعلم الحرب. وفى الدورة الثانية يطلعون على الفن الصحفى، وعلم النفس الاجتماعى.

مع نزول الدعاة والمحرضين إلى الجماهير، يتم مدهم بالتوجيهات والمعلومات عن الأحداث الجارية، بشكل مبكر، قدر الإمكان.

### المتابعة والتطوير -

دأبت لجان الاعلام فى الجبهة - ابتداء من اللجنة المركزية إلى اللجان المحلية - على عقد اجتماعات دورية شهرية. وفى هذه

الاجتماعات كان يجرى استعراض النشاط الاعلامى، خلال الشهر المنصرم، ورصد الأخطاء، والسلبيات؛ لمعالجتها، وتلافيها.

### من الاعلام إلى الكفاح المسلح

مجرد صدور صحيفة "المقاومة"، وغيرها من المنشورات والكراسات التثقيفية، كان الدليل على عجز أجهزة الاحتلال الإسرائيلي عن الوصول إلى مصدرى هذه المطبوعات السرية، أو إلى أمكنة أجهزتها الطباعية. وأفاد هذا الأمر، وحده، كثيرا فى اقتناع الجماهير، ذاتيا وببساطة، أمدى بطلان اسطورية القوات الإسرائيلية، وأجهزتها.

كما لعبت معركة رأس العش الظافرة، التى خاضتها القوات المصرية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى، فى المنطقة الشمالية من قناة السويس (١٩٦٧/٧/١) دورا كبيرا فى وقف تدهور معنويات شعب قطاع غزة، فيما أدى إغراق البحرية المصرية للسفينة الحربية الإسرائيلية "إيلات" (١٩٦٧/١٠/٢١) إلى رفع هذه المعنويات.

من جهة ثالثة، مارست قوات الاحتلال الإسرائيلى جملة من الاجراءات التعسفية والقمعية الشرسة، فردية وجماعية، خلقت ردود فعل عنيفة لدى أهل القطاع؛ تمثلت فى تلك المقاومة المجيدة التى اتسم بها قطاع غزة، حتى أوائل السبعينيات. ناهيك عن الزيت الذى



صوبته البطالة شبه الشاملة على نار سخط أهالى القطاع ضد المحتلين الإسرائيليين.

هكذا انتفض شعب القطاع، بعد أن أحبطته هزيمة حرب ١٩٦٧، أبما إحباط. وجاء نهوضه هذا فى ما يشبه المعجزة، وإن لم يكن فى الأمر أى معجزة.

حين جاء يوم تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٦٧، أضرب قطاع غزة، من أقصاه إلى أقصاه، ويسائر طبقاته وفئاته الاجتماعية؛ احتجاجا على "وعد بلفور"، حيث حلت ذكراه الخمسون، فى ذلك اليوم. وقد جاء الإضراب استجابة لدعوة وجهتها "الجبهة الوطنية المتحدة"، بعد خطة محكمة رسمتها قيادة الجبهة، ضمنها بها هذا الاجتماع، من جهة، ووفرت صمامات أمان، من جهة ثانية، ردت بها عن جماهير القطاع أساليب القمع الجماعية الانتقامية، التى دأبت على ممارستها سلطات الاحتلال الإسرائيلى، فى مثل هذه الاضرابات.

أما الخطة فقد بدأت بحسم موضوع الدعوة للاضراب السياسى العام. وتطب ذلك الحسم ثلاثة اجتماعات متوالية للجبهة المركزية للحزب الشيوعى، على مدى عشرة أيام، شهدت صراعا حادا بين اتجاهين متعارضين، حيث طالبت الأكثرية بضرورة غض الطرف عن موضوع الدعوة للاضراب؛ أولا بسبب عدم استعداد الجماهير، وثانيا لأن "العدو مستفز"، فيما أصر ثانى هذين الاتجاهين (الثلاث) على ضرورة الدعوة إلى الاضراب، مؤكدا بأن جماهير القطاع قد تخلصت - إلى حد بعيد - من حالة الاحباط،

التي تمكنت منها بفعل هزيمة حزيران / يونيو ١٩٦٧. أما أن "العدو مستفز"، فهذا دليل آخر على الوضع الجماهيري المواتي لإضراب، كما أن تنفيذ الاضراب لن يزيد الذنب الإسرائيلي استفزازاً على استفزازه، الذي وصل مداه؛ "فالذنب مستفز بطبعه" - وبعد نقاش طالما احتكم، حسم التصويت - في الاجتماع الثالث - الأمر لصالح الدعوة للإضراب؛ بالاجماع، مع تحفظ عضو واحد، وتحمله "المسئولية التاريخية" للمغامرين دعاة الاضراب!

جاء الانتقال إلى الخطوة التالية، حيث تم تقسيم شعب القطاع إلى عدة فئات اجتماعية: الموظفين؛ الطلبة؛ المدرسين؛ السائقين؛ والتجار. ومنذ البداية، استبعدنا الفئتين الأوليين؛ فالموظفون (\*) لن يضربوا، تحت أي ظرف، بسبب رعايتهم الثورية، وتعلقهم بالتدبير بخزينة الدولة، وحرصهم على العلاوات والترقيات، وقرعهم من شبح التخفيض في الدرجة الوظيفية، أو الخصم من الراتب، ناهيك عن الطرد من الوظيفة. أما فئة الطلبة، فقد استبعدنا بحث أمرها، لسبب يتعارض تماماً مع أمر الموظفين، إذ كنا متأكدين من أن الطلبة سيضربون عند أول إشارة؛ أما المدرسون فموقفهم من الإضراب وثيق الارتباط بموقف الطلبة، ولاحق له. وبقيت الفئتان الأخيرتان بحاجة إلى "استطلاع رأي".

(\*) لعل من الطريف أن سبعة من تسعة، هم مجموع أعضاء اللجنة المركزية

للحزب، آنذاك، كانوا من الموظفين!  
Generalization of the slogan "GOAL" (GOAL)

وخرجنا من آخر اجتماع، لننطلق إلى "عينات" من السائقين والتجار، كل إلى من يعرفه من هؤلاء أو أولئك.

طلب التجار مبررا قويا يجنبهم الغرامات المالية التي تفرضها سلطات الاحتلال الاسرائيلي على كل من يغلق حانوته من التجار، في غير أيام الأعياد الرسمية.

فيما قال السائقون إنهم سيتجاوبون مع حركة الشارع، ولن يشذوا عنها؛ فإذا خلا الشارع توقفوا عن العمل، أما إذا فشل الإضراب، فإنهم يعجزون عن الانفراد به.

طبعتنا ١٥,٠٠٠ نسخة من المنشور الذي يدعو الجماهير إلى الإضراب. وهذا رقم عال، غير مسبوق في قطاع غزة، ذي الثلاثمئة ألف نسمة، حينذاك. مما جعل المنشور يدخل كل بيت، مساء اليوم السابق على الاضراب.

في صباح يوم الاضراب، القيت ثلاث قنابل صوتية، عند بداية ومنتصف ونهاية السوق الرئيسية بمدينة غزة، في شارع عمر المختار، فتدافع الجنود الإسرائيليون، فارين بجلودهم، في فزع ظاهر؛ فيما أغلق التجار أبواب حوانيتهم، وانطلقوا، مطمئنين، إلى منازلهم.

بعد لحظات، كنت تسمع رنين الإبرة، في أي مكان تلقيها من قطاع غزة، بعد أن خلت الشوارع من المارة والسيارات، وأغلقت الحوانيت أبوابها، وبدت غزة كأنها مدينة أشباح.

شكل هذا الإضراب نهاية مرحلة وبداية أخرى في كفاح شعب القطاع ضد الاحتلال الإسرائيلي وإذا كانت الدعاية والتحريض تكفيان لإنهاء حالة الاحباط الجماهيري، فإن أسلوبا كفاحيا أرقى لابد أن يتقدم، بما يستجيب لاستعداد الناس للكفاح والتضحية، الأمر الذي تأكد من خلال النجاح الكامل لهذا الإضراب السياسي الشامل.

### قراءة مضمون

لطالما كتبت موضوعات "المقاومة" من وحي المستجدات الفلسطينية عموما، وفي قطاع غزة تحت الاحتلال على وجه الخصوص؛ أو لتحليل الأحداث الجارية؛ أو التعليق عليها. لقد دأبت هذه الصحيفة على التحذير من "مؤامرات التصفية والإبادة"، التي ينسجها الأعداء الصهاينة وأسيادهم في البيت الأبيض. وتوعدت هذه المؤامرات بالاسقاط (١)؛ بعد أن أطلت رؤوس الثورة المضادة من جحورها، داعية لاقامة كيان كرتوني فلسطيني تحت خراب الاحتلال الصهيوني، الذي لوح بترحيل جماعي للفلسطينيين من قطاع غزة إلى مخيمات أريحا.

في أعداد متتالية، حرصت "المقاومة" على الدغوة إلى "تعبئة كل قوى شعبنا" (٢)؛ مع التأكيد على أنه "لن ترتفع إلا راية المقاومة" (٣) كما بشرت بأن "الحل العسكري في طريق الحتمية" (٤). واتفقت مع الزعيم العربي الكبير، جمال عبد الناصر، في أننا

قد دخلنا "مرحلة نضالية جديدة في مواجهة العدوان" (٥)، فى أعقاب إغراق البحرية المصرية للمدمرة الإسرائيلية إيلات (٢٦/١٠/٦٧). وإن رنت "المقاومة" على الذين فقدوا صبرهم لتأخر "الجبهة الوطنية المتحدة" فى الأخذ بأسلوب الكفاح المسلح. فرأت بأن مقاومة الاحتلال تتخذ أشكالاً نضالية متنوعة، وتتصعد المقاومة من مرحلة لآخرى، بشكل مدروس غير مرتجل، وفقاً لظروف كل مرحلة، ومتطلباتها، دون مزايدة أو ارتجال. ونوهت الصحيفة بأن العمل السياسى ظل، طيلة الأشهر الستة الماضية من الاحتلال، حجر الزاوية، من أجل تحقيق الوحدة الوطنية؛ وانتشال الجماهير من وهدة اليأس؛ وفضح المشاريع الصهيونية الرامية إلى تصفية ونسف قضيتنا الوطنية؛ ومقاومة إرهاب المحتل؛ والتصدي للحرب النفسية التى يشنها. ولأن كاتب المقال كان مطلاً على قرار قيادة الجبهة بالأخذ بالكفاح المسلح، بعد أن تخلصت الجماهير من قنوطها، إلى حد بعيد، ودربت الجبهة العناصر الضرورية لبدء الكفاح المسلح، وجهزت المخابئ ومخازن الأسلحة لذلك؛ نراه يشرح بوقوف شعبنا فى القطاع "على أعتاب مرحلة نضالية جديدة، تتطلب أشكالاً نضالية أعلى". وفى هذا إشارة واضحة لأخذ الجبهة بالكفاح المسلح. وحتى لا يفهم من تبنى الجبهة الكفاح المسلح، بأنه يعنى تخليها عن بقية أشكال الكفاح، نرى المقال يؤكد بأنه مع ذلك تظل للنضال السياسى أهميته، وضرورته، ليشارك مع الأشكال النضالية الأخرى... (فهو) بوصلة العمل الوطنى... إذيقوم بتوضيح

الأهداف، ومساندة الأشكال النضالية الأخرى، والتخطيط لها، واستقطاب الجماهير، واعداد المناضلين في كافة المجالات" (٦).

شدت "المقاومة" على دعوتها "لنحاصر عملاء العدو، ونهزم سياسة التطويق" (٧). واعتبرت الأزمة الاقتصادية التي أخذت بخناق القطاع "إحدى ثمرات الاحتلال الصهيوني الأسود، فقد أصاب الشلل والدمار حياتنا الاقتصادية... وما نتج عن ذلك من انقطاع للموارد الخارجية، التي كانت تساعد على إنعاش الحالة الاقتصادية، وبخاصة عائدات الحمضيات، والتجارة مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر)، وأموال المغتربين من أبنائنا في الخارج. كما اقترن الاحتلال بنشر البطالة بين العمال والحرفيين، وتسرید الآلاف من الموظفين والعمال الحكوميين. ومما زاد الطين بلة، استنزاف سلطات الاحتلال والشركات الصهيونية الاحتكارية لمخدرات السكان، عن طريق الضرائب المباشرة وغير المباشرة، والاستيلاء على الأموال المودعة في المصارف، وتجميد أموال الغائبين، وعن طريق اغراق أسواق القطاع بالبضائع الكمالية، التي تنتجها الشركات الصهيونية... (كما) أن المواد التموينية والضرورية، التي كانت مخزنة في القطاع، نفذت... بالإضافة إلى تعطيل تداول كميات كبيرة في أوراق النقد المصري، بحجة قدمها".

وحصر المقال مظاهر الأزمة الاقتصادية في ثلاثة :

- ١- تناقص السيولة النقدية؛
- ٢- انخفاض القدرة الشرائية؛
- ٣- الارتفاع المطرد في الأسعار.

وقد رت "المقاومة" بأن العدو يوظف هذه الأزمة "كسبيل  
لفرض مخططاته العدوانية التوسعية، ولإلهاء الجماهير فى التفتيش  
عن لقمة العيش؛ فى حين يتخذها بعض العملاء فرصة للكسب  
الحرام". واكتت صحيفة الجبهة بأن "هذه الأزمة لا يمكن أن تزول  
إلا بكس المحتلين". وطالبت الجماهير "بأن تواجه الأزمة بما عرف  
عنها من صمود، وقدره فذة على التجلد، وتحمل الشدائد... كما أن  
الرحيل عن أرض الوطن لا يزيد المشاكل الاقتصادية الا تعقيدا".  
وقد مت "المقاومة" جملة من الحلول النضالية، مثل اعلان النقش؛  
ومقاطعة البضائع الكمالية؛ وحث التجار على طرح بضائعهم،  
وعدم رفع الأسعار؛ مع إبقاء العملة المصرية متداولة (٨).

لأن الجبهة خشيت من اتساع نطاق هجرة أهالى قطاع غزة  
إلى شرقى الأردن، تحت الضغوط الصهيونية المتزايدة، لذا نجدها  
تعرب فى مقال رئيس من "المقاومة"، عن فزعها مما أعلنته وكالات  
الأنباء من أن عدد النازحين من أهالى القطاع بلغ أكثر من عشرين  
ألفا. وحذرت الصحيفة من أن مثل هذه الهجرة الواسعة تسهل على  
الاحتلال ابتلاع القطاع، والحاقه ببقية فلسطين المغتصبة. لذا  
وصفت "المقاومة" الرحيل عن أرض الوطن بالجريمة التى لا يمكن  
تبريرها، وحرمتها، بل اعتبرتها "خيانة وطنية". ورأت بأن "الرحيل  
إلى المجهول لا يمكن أن يحل الأزمة الاقتصادية للنازحين". وطالبت  
بتعميم شعار "البقاء على أرض الوطن"، بكل الوسائل الممكنة.  
وناشدت كل القوى والمنظمات وأحرار العالم التدخل "لإنقاذ حياة  
المعتقلين من مناضلى شعبنا" (٩).

واحتلت الوحدة الوطنية جانبا كبيرا من اهتمام "المقاومة"، فدعت إلى استكمالها، باعتبارها "قاعدة الانطلاق" (١٠). وحثت، غير مرة، على استكمالها، وناشدت "حركة القوميين العرب" أن تنبذ "موقفها الانعزالي، والانضمام إلى صفوف الجبهة"؛ لأن "القوى الوطنية لا يمكن أن تختلف حول قضايا مقاومة الاحتلال" (١١). ولاحقا، رأت "المقاومة" بأن استكمال الوحدة الوطنية أمر ملح، ليثبت شعبنا الفلسطيني "وجوده، وحقه في الحياة، وليؤكد دوره الطليعي في تحمل مسئولية حل قضيته الوطنية... حجر الزاوية في الثورة العربية المعاصرة" (١٢). كما نددت للصحيفة بمن يهاجمون "الادارة العربية الشقيقة" (١٣).

فيما ألقت الضوء على السر في التهديدات التي أخذ يلوح بها قادة العدو الصهيوني، من أنهم سينقلون الحرب إلى الضفة الشرقية للأردن. وأعادت "المقاومة" هذه التهديدات إلى "هزيمة قوات العدو في (الكرامة)؛ وتساعد المقاومة الشعبية ضده؛ وتفاقم أزمته الداخلية؛ والقدرة المتزايدة لدور الرأي العام العالي في فضح العدوان، وإدانتته، ومحاصرته؛ وصمود الجبهات الداخلية العربية، والتغييرات الأخيرة في الأردن، بقيام الجبهة الوطنية فيه" (١٤).

لم تحبس "المقاومة" نفسها في قطاع غزة، وحده، بل رنت ببصرها إلى بقية أرجاء فلسطين، وتنبعت، بالأخبار التي دأبت على نشرها - نشاط دعاة تصفية قضيتنا الوطنية. كما نشرت خبرا عن صدور "الميثاق الوطني المرحلي"، عن القوى الوطنية في الضفة



الغربية(\*)، التي ندبت فيه "بمؤامرة إقامة الكيان الفلسطيني الهزيل تحت حراب الاحتلال والعدوان، لاتخاذ هذا الكيان وسيلة لإخراج القضية الوطنية الفلسطينية عن محيطها العربى، وعزل الشعب العربى فى المناطق المحتلة عن ركب الشعوب العربية، وترك قضيته فى أيدى نفر من الخونة والعملاء". كما أكد الميثاق تصميم القوى الوطنية على "وحدة الضفتين - الشرقية والغربية للأردن - وعلى عروبة مدينة القدس" (١٥).

فكما انصتت "المقاومة" إلى نبض الصمود فى دول الجوار عموماً، وفى مصر خصوصاً؛ فوجدناها تعلق على خطاب الزعيم الراحل، جمال عبد الناصر، أمام مجلس الأمة المصرى، فى ١٨/١/١٩٦٨، مركزة على محاولته إقناع "العالم بأن إسرائيل دولة معتدية، وأداة استعمارية"؛ وأنه "لم يكن من الصواب مواجهة المعركة بالغضب، وحده"؛ و "أن التحرك، الآن، فى المجال السياسى لا يعنى نبذ الطريق العسكرى... [و] أن ما أخذ بالقوة لا بد أن يسترد بالقوة". وعن قرار مجلس الأمن الدولى، رقم ٢٤٢، قال عبد الناصر: "إنه كان حلاً وسطاً، وغير كاف لإيجاد مخرج سليم... وبين أن قيمة أى قرار إنما تتحدد بقدراتنا العسكرية... وأكد الرئيس تمسك المتحدة (مصر) بالانسحاب الكامل من كل شبر من الأراضى العربية المحتلة... كما أكد التزام الجمهورية (المصرية) بقرارات

(\*) ضمت هذه القوى، حينذاك، الحزب الشيوعى، وحزب البعث، وبعض الشخصيات الوطنية المستقلة.

مؤتمر الخرطوم، التي تنص على أنه لا صلح، ولا تفاوض، ولا اعتراف بإسرائيل، ولا تصرف بالقضية الفلسطينية... وطالب بضرورة كسب المعركة النفسية ضد العدو، إذا ما أردنا كسب المعركة العسكرية" (١٦). وفي العدد نفسه، أوردت "المقاومة" مقتطفات من هذا الخطاب.

حين تقدم الرئيس عبد الناصر إلى الشعب المصري ببرنامج ٣٠ مارس، مساء ٣٠/٣/١٩٦٨، خصصت "المقاومة" عددها الصادر في اليوم التالي، لهذا البرنامج الثوري، ووصفته بـ "البيان التاريخي الخطير... [و] برنامج العمل للمرحلة القادمة... [وأنه] أثبت مدى أصالة القيادة الثورية في العربية المتحدة، وصلابتها... [حيث تم استيعاب] دروس النكبة... والاستجابة لنبض الجماهير الشعبية" (١٧).

وعن أسبوعية "المصور" القاهرية، لخصت "المقاومة" مقال المفكر التقدمي المصري المعروف د. عبد العظيم أنيس، الذي حاول تفسير هزيمة ١٩٦٧، رافضا اعانتها إلى عدم تمسكنا بالخلق القويم، أو لأننا لم نتقدم في طريق العلم والتكنولوجيا. مؤكدا بأن النصر العسكري ما كان ليتحقق للعدو "عندما نواجهه بحسم ووضوح فكري، على المستوى الجماهيري، ودقة وفعالية في التنظيم الشعبي"؛ ضاربا المثل بفيتنام، مشيرا إلى "أن موقفنا الفكري من أمريكا قد ظل لسنوات غير واضح، جماهيريا؛ ولم يعبأ الشعب على أساسه، إلا أخيرا... وظل بعض الكتاب والصحفيين العرب المخلصين يراودهم الأمل في أن نتصرف الولايات المتحدة بعقل

وحكمة؛ ثم اكتشفوا بعد ذلك، أنها الرأس المفكر والمدير للعنوان". ويصل د. أنيس إلى "أن تحديد استراتيجيتنا يقتضى، فى المقام الأول، تحديدا فكريا واضحا لأعدائنا وأصدقائنا فى المجال الدولى، تماما كما نفعل فى المجال الداخلى. وما يقال عن تردد موقفنا الفكرى من الولايات المتحدة، يمكن أن يقال، أيضا، عن فكرة (الطريق الثالث) فى البناء الاشتراكى الداخلى؛ إذ أن فكرة التوازن الدولى، والطريق الداخلى الثالث مرتبطان أوثق الارتباط". وانتهى إلى أن "أولى خطوات الانقاذ، هو التغيير العميق داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه، حتى نكون مطمئنين، تماما، فى المعركة الطويلة المريرة، المقبلة" (١٨).

ومن مقال كاتب يسارى مصرى آخر، كان نشره فى يومية "الجمهورية" القاهرية، صيف سنة ١٩٦٤ بعنوان : "لو خلت أميركا من اليهود، لما تغير موقفها من إسرائيل"، اقتطفت "المقاومة" ما يؤكد مصلحة الاحتكارات الأمريكية فى بقاء إسرائيل قوية فى المنطقة؛ مبددا الأباطيل حول التأثير الحاسم للصوت اليهودى فى التعاطف الأمريكى مع الصهيونية وكيانها (١٩).

من بعيد، يسقط المناضل الأسمى الشهير، أرنستوتشى جيفارا، صريع رصاص الامبريالية الأمريكية، فى أدغال بوليفيا؛ ففتحاه "المقاومة"، فى عمود كامل من صفحتها الثانية. يحمل عنوان "جيفارا بطل المقاومة" (٢٠).

لا تكفى هذه الصحيفة، على صغر حجمها، بالمقال والتعليق، بل تعتمد إلى نشر "أخبار المقاومة" فى عمود، أو عمودين،

وأحيانا ثلاثة أعمدة، حسب المتاح من الأخبار. لقد اهتمت الصحيفة بنشر الجديد من الأخبار، التي يرسلها أعضاء الجبهة المنتشرين في أرجاء القطاع؛ فهم مندوبين للصحيفة، يغطون لها الأخبار، بلا مقابل، وفي حماسة شديدة. وتكتس هذه الخبر، اليوم، قيمة تاريخية ذات شأن، حيث غدت يوميات لشعب اجترح البطولات في وجه احتلال باغ.

تستعين "المقاومة" بالشعر الثورى في تحريض الشعب، فتتشر رائعة توفيق زياد "هنا باقون" (٢١)؛ وتتبعها بقصيدة اخرى للشاعر نفسه، بعنوان : "تلج على المناطق المحتلة" (٢٢).

### المحصلة

لم تكتف الجبهة بصحيفتها الاسبوعية، بل لطالما أصدرت المنشورات السرية، تدعو فيها الشعب إلى التحرك السريع في أمر ما، أو تطلعه على أمر لايحتمل التأجيل، أو موضوع ترغب في تعميم مضمونه على الشعب.

فضلا عن الكراسات الصغيرة التي حرصت قيادة الجبهة على نشرها، شهريا، ابتداء من مطلع تشرين الأول / أكتوبر ١٩٦٧، وكان الكراس الأول بعنوان : "حرب الشعب وجيش الشعب"، الذى تضمن تلخيصا وافيا لكتاب معجزة حرب الشعب الفيتنامي، الجنرال جياب، حمل العنوان نفسه؛ اضافة إلى مقتطفات من كتابات الزعيم الشيوعى الصينى الشهير، ماوتسى تونج، فى

المجال نفسه. وفي مطلع الشهر التالي، صدر كراس "لمحة عن الحركة الصهيونية".

في عمرها القصير، نجحت "المقاومة" في اعلام الشعب وتنقيفه، وصولا إلى توعيته، وتعبئته، والاسهام بنصيب وافر في تنظيمه. ففي ضربة نجح المحتل في توجيهها للحزب والجيبة، في أن معا، ربيع ١٩٦٩، وضع العدو يده على مطابع "المقاومة"، مما أدى إلى توقفها، لبضعة أسابيع، قبل أن تعاود الصدور، معتمدة على هيئة تحرير جديدة، ومطابع احتياطية، شغلتها قيادة الحرب، بعد أن ملأت المواقع التي شغرت، بفعل الضربة، بعد ثمانية عشر شهرا من عملها المتواصل؛ حيث تأكد بأن هذه الأشهر لم تكن بلا جدوى؛ فقد حققت هذه الصحيفة، خلالها، جملة من الأهداف : أهمها :

- \* إضاءة السبيل لمواصلة النضال ضد الاحتلال؛ حيث أكدت بأن مقاومة المحتل ليست واجبة فحسب، بل ممكنة، أيضا؛
  - \* غرس اليقين بالنصر في نفوس أبناء الشعب؛
  - \* تعميم الشعارات الرئيسية للجيبة؛
  - \* تكريس اسم "الجيبة الوطنية" في قطاع غزة وخارجه؛
  - \* وتأهيل مزيد من الأعضاء لتحرير هذه الصحيفة السرية.
- قبل أن يتوارى عام ١٩٦٧، وجدنا أنفسنا على عتبة حقبة ثورية جديدة، تقتضى تصعيد الكفاح، واستحداث أساليب كفاحية.

بيد أن تقحم الحقبة الجديدة، وتبنى أساليب الكفاح الأمضى  
كان قدرنا، فانسحابنا لم يكن يعنى إلتارك اللحظة الثورية تقلت من  
بين أيدينا، مما يخرجنا من التاريخ، مرة وإلى الأبد.

## هوامش الفصل الثالث

- ١- انظر في هذا الصدد : اسقطوا مؤامرات التصفية والإبادة، المقاومة، العدد الأول ١٩٦٧/٨/١؛ فلنسط مخططات التصفية والتشريد، المقاومة، العدد الثاني ١٩٦٧/٨/١٥؛ لن تمر مخططات التهويد المقاومة، العدد الرابع، ١٩٦٧/٩/٨؛ فلنناضل دون هوادة ضد مشاريع التوطين، المقاومة، العدد الخامس، ١٩٦٧/٩/١٨؛ المؤامرة في دور التنفيذ، المقاومة، العدد التاسع ١٩٦٧/١٠/٢٧؛ ماذا وراء هذه المشاريع؟!، المقاومة، العدد العاشر، ١٩٦٧/١١/١٠؛ العدو يركز على جبهتنا الداخلية، المقاومة، العدد ١٤، ١٩٦٧/١٢/٨.
- ٢- المقاومة، العدد الثاني، ١٩٦٧/٨/١٥.
- ٣- المقاومة، العدد السادس، ١٩٦٧/٩/٢٩.
- ٤- المقاومة، العدد الحادي عشر، ١٩٦٧/١١/١٧.
- ٥- المقاومة، العدد الثالث عشر ١٩٦٧/١٢/٣.
- ٦- للنضال السياسي لماذا؟، المقاومة، العدد الخامس عشر، ١٩٦٧/١٢/١٥.
- ٧- المقاومة، العدد الثالث والعشرون، ١٩٦٨/٤/٧.
- ٨- في مواجهة الأزمة الاقتصادية، المقاومة، العدد الخامس عشر، ١٩٦٧/١٢/١٥.
- ٩- الهجرة خيانة وطنية، العدد نفسه.
- ١٠- المقاومة، العدد الرابع والعشرون، ١٩٦٨/٤/١٤.
- ١١- دعوة!، المقاومة، العدد الحادي عشر ١٩٦٧/١١/١٧.
- ١٢- نحو مدى ثوري أرحب، المقاومة، العدد ٢٦، الأسبوع الأول من مايو/ أيار ١٩٦٨.
- ١٣- لمصلحة من هذه الحملة القذرة؟، المقاومة، العدد الثامن، ١٩٦٧/١٠/٢٢.

- ١٤- لماذا وراء التهديدات الصهيونية الجديدة، المقاومة، العدد ٢٥، ١٩٦٨/٤/٢٨.
- ١٥- المقاومة، العدد الثامن، ١٩٦٧/١٠/٢٢.
- ١٦ المناضل عبد الناصر يحدد معالم الطريق، المقاومة، العدد الثاني عشر، ١٩٦٧/١١/٢٤.
- ١٧- المقاومة، العدد الثاني والعشرون، ١٩٦٨/٣/٣١.
- ١٨- د. عبد العظيم أنيس، الفكر السياسى والتنظيم السياسى، المقاومة، العدد التاسع، ١٩٦٧/١٠/٢٧.
- ١٩- المقاومة، العدد العاشر، ١٩٦٧/١١/١٠.
- ٢٠- المقاومة، العدد الثامن، ١٩٦٧/١٠/٢٢.
- ٢١- المقاومة، العدد الثالث عشر، ١٩٦٧/١٢/٣.
- ٢٢- المقاومة، العدد ٢٢، ١٩٦٧/٣/٣.





# الفصل الرابع

## استنتاجات عامة



## الفصل الرابع استنتاجات عامة

تضافرت جملة من العوامل الموضوعية مع أخرى ذاتية، لتخرج هذه التجربة غير المسبوقة في فلسطين. وإذا كنا أشبعنا العوامل الذاتية بحثاً، في ما سبق؛ فآلقينا حزمة من الأضواء على القدرات، والمهارات، والخبرات التي تمتعت بها الجبهة، فعمل من المؤكد أن هذه العوامل كان لها أن تتجلى، لولا توفر ظروف موضوعية مواتية؛ مما جعل قطاع غزة يتمتع بمزية النهوض الثوري، فيما بين سنتي ١٩٦٧، ١٩٧١، بشكل يفوق غيره من المناطق المحتلة. فقد رأينا الاحتلال الإسرائيلي يرفع معدلات القمع هنا عنها في أي منطقة أخرى يحتلها، مما وفر رد فعل شعبياً ملحوظاً؛ كما أن الاحتلال سرح نسبة كبيرة من موظفي الحكومة؛ وأحرق الكثير من سفن صيد يمتلكها أبناء القطاع؛ وتحت نيره تفشت البطالة بين العمال، وتمكن الكساد من التجارة، مما وسع دائرة الساخطين. وإذا ما اضيف إلى هذا وذاك، التدريب العسكري الذي عمم في القطاع في السنوات القليلة السابقة على الاحتلال؛ وبقاء الأسلحة والمتفجرات والذخائر، خلف القوات المصرية والفلسطينية المنسحبة، مع وجود تنظيمات وطنية غير مضروبة مقابل إقدام حكومة الأردن على ضرب مثيلاتها في الضفتين، ربيع ١٩٦٦؛ فضلاً عن استعداد جماهير القطاع العالي للتضحية من أجل أن تعود الإدارة المصرية إلى القطاع، وليس من أجل عودة نظام

استبدادى، يهون أمامه أمر الاحتلال. ناهيك عما سببه الاحتلال  
الإسرائيلى، فى حد ذاته، من نزع فى الكرامة الوطنية.  
لعل من فضول القول بأن هذه التجربة الثرية لم تمض دون  
أن تخلف لنا الكثير من الدروس المستفادة، لعل فى مقدمتها :

### فى التنظيم

\* ثمة ضرورة لتوفير احتياط فى كل مجال؛ يمكنه الطول، فورا،  
محل الأصيل الذى يضرب؛ والإسبب ضرب الأصيل فى  
انقطاع العمل، أو خلخلته.

\* منذ البداية، تقدمت باقتراح يقضى بإلغاء لجان المناطق، والاكتفاء  
باللجان المحلية؛ على أن يترأس كل منها عضو مركزى. وقد  
أقر هذا الاقتراح، وعمل به. الأمر الذى حمى التنظيمات الحزبية  
والجبهوية القائمة، إلى مدى بعيد. لكن مغادرتى قطاع غزة،  
ربيع ١٩٦٨، أعطت الفرصة لأحد عبيد الماضى - الذى لم  
يلتقط الحكمة من تفتيت المناطق إلى محليات - كى يعيد العمل  
بنظام المنطقة الواحدة لكل قطاع غزة، يتصل بها هو، ويترأسها،  
فى أن معا. وقد أدى وقوع أحد أعضاء قيادة هذه المنطقة فى  
أيدي أجهزة أمن الاحتلال إلى توجيه الضربة لكل تنظيمات  
الحزب والجبهة، فى أن معا، وفى ساعات قليلة.

هذا فى حين كان الأخذ بالتنظيم العنقودى، وتفتيت  
المحليات، الصيغة الأشد أمنا.

\* يقتضى العمل التنظيمى عموماً، والسرى فيه على وجه الخصوص، متابعة دقيقة لكل ما يستجد من تحركات العدو، وإجراءاته؛ بغية اجترار إجراءات مضادة، والعمل على احباط إجراءاته. وقد تأكد نجاحنا هنا، عندما قررت قيادة الحزب، فى ١١/١/١٩٦٨، "تقصير خطوطنا"؛ بعد أن شدد العدو المحتل قبضته على القطاع، حيث عمدنا إلى تقليص حجم اللجنة المركزية من ٩ إلى ٥ أعضاء، فقط؛ كما تم الاستغناء عن التقارير الدورية المرفوعة إلى القيادة؛ وحلت اللقاءات الخاطفة محل الاجتماعات المطولة، نسبياً. وتصادف أنه، فى مساء اليوم نفسه، نجح العدو فى توجيه ضربة لكل التنظيمات فى القطاع (قوات التحرير الشعبية، وطلّاع المقاومة الشعبية)؛ فيما أفلتت تنظيمات الحزب والجيبة من هذه الضربة؛ بسبب من تجنب قادة الحزب وكوادره المبين فى منازلهم؛ مما جعل جهود وصول العدو المحتل إلى ثلاثة من قادة الحزب تذهب هباء؛ إذ توجه إلى منازلهم، فلم يجدهم (١٢/١؛ ١٨/١؛ ٢٥/١/١٩٦٨).

\* لافتر من توقع أسوأ الاحتمالات، والتحوط فى جميع أنشطة الحزب والجيبة : فى التنظيم؛ والدعوة؛ والعمل الجماهيرى؛ والعمل العسكرى، على حد سواء. مما يتطلب توفير احتياطي لكل هذه المجالات، والنأى بهذه الاحتياطات عن العمل، حرصاً عليها، لحين الحاجة الماسة السها، أى بعد ضرب التكوينات الاصلية. مع ضرورة توفير مفاتيح عمل لهذه الاحتياطات حتى لا ينقطع العمل، والاتصال، والطباعة... إلخ.

\* انسحبت الحدود، إلى حد بعيد، وباطراد، بين الحزب والجهة، سواء في المواقف السياسية، أو في البنية التنظيمية، أي بين الخلايا الحزبية واللجان الوطنية؛ خصوصاً في الأداء؛ عدا عن تسرب نسبة غير قليلة من التراخي إلى بنية الحزب من جهة، وإن كسب الحزب الكثير من أعضاء اللجان الوطنية، وبينهم مناضل معاديا للشيوعية، حتى وقوع حرب ١٩٦٧ ووصول الاحتلال.

\* لم يطلع على موقع الجهاز الفني (المطابع) إلا المركزيان اللذان عهد إليهما العمل فيه، دوناً عن بقية القيادات والكوادر، لكن الخطأ الجسيم الذي وقعت فيه قيادة الحزب في هذا الصدد كان إيكال مهام تنظيمية لهذين المركزيين، فوق مهامها الفنية والمالية؛ فأحدهما كان مسؤولاً عن محطتين (مخيم الشاطئ؛ وجباليا)، فضلاً عن زهاء أربعين عضواً من الجبهة، أغلبهم عبر اتصال فردي، فيما انتظمت النسبة الأقل في لجان وطنية. مما جعل هذين المركزيين عرضة للكشف السريع. ولا يبرر هذا الخطأ النقص القادح في الكوادر. في حين كان يجب إناطة العمل الفني (الطباعة) بعضوين صلبين، غير مكشوفين، أصلاً مع اعفائهما من أي مهام أخرى للحزب أو للجبهة.

#### في الصحافة -

\* الصحافة السرية علم وفن. علم يجب الإلمام به؛ وفن يتطلب التعامل معه بمرونة وتصرف. كما يستوجب العمل في هذه

- الصحافة التمكن من الفن الصحفي، وبكل ثقافة الكادر السياسى والكادر العسكرى، فى ان معا.
- \* التقيد بالصدق، فيما يعرض من أخبار، ومقالات، وتعليقات فى كل الصحف السرية؛ بما يعزز صدقية الجبهة.
- \* اعتماد لغة تخاطب مع الشعب، تستند إلى الاختصار، والبساطة، والوضوح الشديد، للوصول إلى كل الناس، والتأثير فيهم، ومد الجسور الدائمة معهم.
- \* الصحافة السرية تشفى غليل الشعب، وتروى تعطشه إلى المعلومات والتحليل السليم.
- \* لا بد من الاهتمام باخراج الصحيفة، بشكل بسيط، متوازن.
- \* انتقاء الآت طباعة بسيطة، خفيفة الوزن، لا يصدر عنها صوت عال أثناء عملها، يمكن أن يلفت الانتباه إلى مكان وجودها. كما لا مفر من الاهتمام بملاءمة هذه الآلات للإخفاء عن أعين الفضوليين ورجال الأمن.
- \* مستوى الصحيفة السرية رهن بما وصلت إليه المؤسسة التنظيمية (الحزب أو الجبهة)، فى المجالات التنظيمية، والفكرية، والسياسية.
- \* كما أن نمو القدرات الاعلامية لأى تنظيم يعكس مدى نمو واتساع تأثير هذا التنظيم على الجماهير.



\* في الصحافة السرية ثمة ضرورة للعمل على خطين، في آن معا؛ أولهما عميق، يغطي بكراسات تنقيفية، والثاني بسيط، يتصدى لتحليل الأحداث الجارية، والتحريض.

\* التوعية بدون تعبئة تخلق رجالا ثرثارين، فيما توفر التعبئة بدون توعية أحجار شطرنج.

\* كل عضو حزبي داعية. وان كان هذا لاينفي أن الاعلام مهمة الشعب كله، على أن لايتترك الأمر للعقوية الشعبية، بل لامفر من مراقبة جماهير الشعب، ومتابعتها، وتعليمها، والتعلم منها.

في هذا المجال، كسرنا تقليدا عريقا، طالما أبعدنا عن التعامل مع أئمة المساجد. فتحت الاحتلال الإسرائيلي اقترابنا، بحذر، من هؤلاء الأئمة؛ وجاءت النتيجة مدهشة، إذ تحول كل إمام وضع يده في أيدينا إلى داعية ومحرض من طراز فريد، يصل بتأثيره إلى دائرة واسعة من الناس، ويتميز عن غيره من الدعاة والمحرضين في الجبهة، في أن جمهوره يتلقى كلامه كأمر مسلم به، وبلا نقاش.

\* لا ينفصل النشاط الاعلامي عن الثورة ككل، كما لاينفصل عن غيره من الأساليب الكفاحية الاخرى؛ فضلا عن أنه ليس مجرد موضوع تكتيكي. فالاعلام أسلوب كفاحي، قد يتقدم موقعه أوبتأخر، عن غيره من الأساليب الكفاحية. ومن البديهي أنه ليس هدفا، بحد ذاته؛ وإن تميز عن غيره من الأساليب الكفاحية بضرورته الدائمة.

التعليمات والتعميمات الاعلامية الصادرة عن القيادة ليست "منزلة"، بل يمكن أن يأتيها الخطأ، إن في التقدير، أو في الاطلاق والتعميم. ومن هنا ضرورة استمرار العلاقة الحيوية، القائمة على الأخذ والعطاء، بين مجموع الدعاة والمحرضين من جهة، وبين القيادة من جهة أخرى. ولا تقتصر هذه العلاقة على مجرد تلقي الدعاة والمحرضين التعليمات والتعميمات من أعلى، بل لابد من أن يمد هؤلاء الدعاة والمحرضين قياداتهم بالاهتراحات، وبكل ما يلمسوه من تغيرات في اتجاهات الرأي العام، مهما تواضع شأنها. كما يمدونها بكل حدث ومؤشر ويرد فعل الشعب على ما يقوم به هؤلاء الدعاة والمحرضون من نشاطات، بما يجعل القيادة تضع خططها، وتصيغ شعاراتها، مسترشدة بنبض الشارع.

في هذا الصدد، تحضرني قصة طرح الجبهة شعار "لاتعليم في ظل الاحتلال"، ثم تراجع الجبهة عن هذا الشعار، بعد بضعة أيام، واحلال شعار "ضد تهويد التعليم" محله. وتبدأ القصة حين أخطأت قيادة الجبهة التقدير، فيما يخص الفترة التي سيمكثها الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة. وربما كان الأمل، وحده، ما جعل هذه القيادة تقدر منته بما يقترب من تلك التي سبق له أن مكثها خلال العدوان الثلاثي (١٩٥٦)، وهي أربعة أشهر وخمسة أيام. وأدارت قيادة الجبهة هنا ظهرها للمستجدات في الاحتلال الجديد، فتغافلت عن أن العدوان الإسرائيلي استمد غطاءه، سنة ١٩٥٦، من القوات الفرنسية والبريطانية؛ مما جعل اسرائيل تعجز عن البقاء في الأراضي التي احتلتها من سيناء وقطاع غزة، بعد

انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية من المناطق التي احتلتها من سيناء وقطاع غزة، بعد انسحاب القوات الفرنسية والبريطانية التي احتلتها في منطقة قناة السويس. كما أن عدوان ١٩٦٧ جاء بمباركة اارة الأمريكية، وجاء بعد ان ضمنت له إسرائيل البقاء مدة أطول، بأن عززت تحييد الضغوط الخارجية، بشكل يفوق كثيرا عدوان ١٩٥٦.

هنا حل "تحليل الأمانى" محل التحليل العلمى، ما جعل قيادة الجبهة تعتمد اسلوبا يظهر للرأى العام العالمى مدى اتساع مقاطعة شعبنا للمحتل الإسرائيلى فى شتى المجالات، بما فى ذلك التعليم. فبادرت هذه القيادة إلى صياغة شعار "لاتعليم فى ظل الاحتلال". وتحركت منظمات الجبهة لمنع الطلبة والمدرسين من الذهاب إلى المدارس. لكن ما أن مر شهران، حتى بادرت قيادة الجبهة فأزاحت هذا الشعار، وأحلت محله "ضد تهويد التعليم". ذلك أن تقارير الدعاة والمحرضين جاءت لتؤكد بأن الاستجابة للشعار الأول جاءت جزئية، وعلى مضض، وأن قطاعات واسعة من المدرسين وأولياء امور الطلبة ترى بأن الاحتلال يريد نشر الجهل والامية. وان ما يستحق المقاومة تلك المحاولات التي يبذلها الاحتلال من أجل الغاء منهج التعليم المصرى، واحلال منهج صهيونى مكانه، خاصة فى مجال التاريخ الوطنى.

## فى القتال

ثمة سؤال مشروع يتواتر : ترى، أين الكفاح المسلح فى نشاط هذه الجبهة؟

\* إن أمر الانتقال من أسلوب كفاحى إلى أسلوب آخر لم يكن بالسهولة التى نكتب بها هذا الانتقال، اليوم، فى سطر أو سطرين. ذلك أن انتقال أى مؤسسة تنظيمية من أسلوب كفاحى إلى آخر، معضلة حقيقية، لا يعرفها إلا من كابدها. فثمة أعضاء ينسحبون، "ويتساقطون"، فيما يحتج آخرون، لأنهم استمروا أو الاكتفاء بالأسلوب الاعلامى فى الكفاح؛ حتى أنهم تصوروا بأنه الأسلوب الأكثر فعالية، دائماً، فى مواجهة الاحتلال. فيما خشى أعضاء آخرون فى الجبهة من رد فعل الاحتلال، الذى لا شك سيكون أشد شراسة من مثيله على النشاط الاعلامى. حتى أننا سمعنا ذرائع سبقت فى سبيل استبعاد أسلوب الكفاح المسلح، مثل: انبساط سطح قطاع غزة؛ حيث لا جبال أو غابات. وفى مواجهة هذا المنطق صاغت قيادة الجبهة شعار : "إذا كانت الأرض تكشفنا، فإن الليل يسترنا"؛ كما أشارت القيادة نفسها بأن الأبنية غابات خرسانية، تعوق تحرك آليات المحتل الاسرائيلى؛ فيما تسهل للفدائى الافلات، بمجرد انجاز مهمته القتالية، لكن المعارضين لم ييأسوا، بل واصلوا جهودهم من أجل استبعاد الكفاح المسلح من أجندة الجبهة. فاقترحوا تشكيل وحدات مسلحة من خارج التنظيم السياسى للجبهة؛ من عسكريين محترفين، مكثوا فى القطاع، بعد خروج قوات جيش التحرير الفلسطينى من

القطاع، مع الهزيمة. وجاء الرد سريعاً من قيادة الجبهة، بأن  
مناضل الجبهة سيكون نفسه الذى يوزع المنشور، وايضاً من  
يلقى القنبلة. حيث لامجال، فى تنظيم صغير، إلى إقامة تنظيمين  
متوازيين، توكل إلى كل منهما مهام مختلفة عن مثيله. كما أن  
مثل هذا الأمر سيحدث فصاماً تنظيمياً بين ما هو سياسى، وما هو  
عسكرى فى الجبهة؛ مما يفتح الباب لتعارضات ومزاحمات لا  
يتحملها جسم التنظيم، فى مثل هذا الحال. كما أن الانتماء  
الفكرى والسياسى ضرورى للعمل العسكرى، ايضاً. فالكفاح  
المسلح ليس عملية تقنية بحتة، ينحصر تنفيذها فى عسكريين  
يجيدون الرماية، ونصب الكمائن وزرع الألغام، وما اليه، بينما  
يقطعون صلتهم بالسياسة. وفى مواجهة هذا المنطق، صاغت  
قيادة الجبهة شعار : "مقاتلون فى الليل، دعاة فى النهار". لكن  
الصراع لم يهدأ، خاصة مع شيوع مفاهيم خاطئة عن "حرب  
الشعب طويلة الأمد"، مثل إقدام منظمات المقاومة الفلسطينية  
على إقامة معسكرات للفدائيين فى شرقى الأردن، خارج مناطق  
الاحتلال؛ ومثل إهدار الفكر، الذى تجلى - أكثر ما تجلى - فى  
مقولة : "النظرية تتبع من فوهة البندقية"، وغيرها من المقولات  
التي استتظقت البندقية، وقدمتها، وكأنها الهدف، فى حد ذاتها،  
الأمر الذى عكس ازدياد العمل السياسى، وأظهر العمل الفدائى  
وكأنه البديل للعمل السياسى، اذا وجد أحدهما غاب الآخر.

\* تعاملت قيادة الحزب، بشكل سليم، مع شعار الكفاح المسلح، فلم  
تتهور، ولم تتقاعس، بل خاضت نضالاً تحضيرياً، من أجل

توفير شروط استمرار هذا الشكل الكفاحي، مع إتاحة أعلى درجات الأمان له. إلا أنها، في التطبيق، أفرزت أحد أعضائها لقيادة العمل العسكري، فيما كان يجب تخصيص مكتب حزبي مركزي، شأن بقية الأنشطة (التنظيم؛ الدعوة؛ المالي - الفني). مما أوقع العمل العسكري في جملة من الأخطاء، والارباكات، على نحو حال دون أن توازي الانجازات العسكرية ما حققته الجبهة في المجالات السياسية، والتنظيمية، والدعائية.

ويعد،

فأنه لاغنى لأى مناضل عن أى من الحياة والنظرية. فمن الحياة نستخلص قوانين النظرية، وإلى الحياة نعود، لنطبق النظرية، ونغنيها، ومن أجل الحياة نواصل النضال.















# تحریر فی الشاہد السلطانی

مکتبہ السلطانیہ  
دار الفکر - بیروت

3.94

ج 1  
د 1